# يوسف أبو الفوز

# طائر الدهشة



التعريف بالكاتب: ولد القاص يوسف أبو الفوز عام ١٩٥٦ في مدينة السماوة في العراق، لعائلة كادحة، وكان والده عامل سكك ووالدته ربة بيت، وله خمسة أخوة وترتيبه الرابع بينهم، وله أخت واحدة وهي اصغر العنقود. وفي عام ١٩٧٩ ولاسباب سياسية اضطر للهروب من العراق، وعبر الصحراء سيراً على الاقدام الى العربية السعودية ومن ثم الى الكويت. ثم التحق بقوات انصار الحزب الشيوعي العراقي في ربيع ١٩٨٠، ثم يذكر، انه مع مأساة الانفال ١٩٨٨ غادر الى ايران، وتشرد طويلا قبل ان يستقر في فنلندا كلاجئ لاسباب... انسانية! وظهرت كتاباته في العديد من الصحف العراقية والعربية والفنلندية ويواصل الكتابة باستمرار في صحافة الحزب الشيوعي العراقي(*)

طائر الدهشة

---

(*) جريدة صباح، صفحة ثقافة، ع ١٠٢٢، الجمعة ٦/٧/٢٠٠١.

د. فؤاد قادر أحمد
اربيل ١١/٧/٢٠٠١

منشورات



اسم المؤلف يوسف أبو الفوز
عنوان الكتاب طائر الدهشة
الطبعة الأولى ١٩٩٩
الحقوق محفوظة

Author : Yousef Abu Al-Foz
Title : The Astonishment Bird
First Edition 1999s
Copyright ©

يطلب من

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون ٢٧٧٢٠١٩ - ٢٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٢٧٧٣٩٩٢
بيروت - لبنان صندوق بريد ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

**Al Mada** : Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 2776864 , Fax: 2773992
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

يوسف أبو الفوز

# طائر الدهشة

بيت القصة

**الاهداء**

*الى جاسم هداد مثلما أعرفه!*

***يوسف أبو الفوز***
**تموز ١٩٩٨**

من بلد ستدور الى آخر
ومن امرأة ستفر الى امرأةٍ
من صحراء الى أخرى
لكن الخيط الممدود مع الطائرة الورقية
سيظل الخيط المشدود
الى النخلة
حيث ارتفعت طيارتُك الاولى!

سعدي يوسف

من هذه المدن ،
لن يبقى ،
سوى الريح التي
عبرتها!

برتولت بريخت

## هذا الكتاب

في كردستان ، آب ١٩٨٥م ، وبإمكانات الانصار الطباعية المتواضعة ، صدرت مجموعتي القصصية الاولى (عراقيون) ، عن (رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين ـ الانصار) ومرت سنين طويلة منذ ذلك اليوم ، انجزت فيها العديد من المخطوطات الادبية والقصصية ، لكن ظروف عدم الاستقرار التي مررت بها ، خلال رحلتي مع المنفى في البحث عن سقف امن ، اضافة للمصاعب الفنية من تمويل وغيرها ، كانت عائقا جديا امامي لطبع كتاب جديد!

ولو تيسر لي امكان طبع كل مخطوطاتي ، فإن هذا الكتاب سيكون ترتيبه في اخر القائمة ، ولهذا استوجب التوضيح ليكون القارئ على بينة!

هذا الكتاب الذي تيسر طبعه اخيرا ، يضم مجموعة من القصص ، تم اختيارها من اخر ما كتبت من قصص لاعتقادي ان هناك ما يجمعها ، واحساسي بأن ثمة خيوطا مشتركة ما تمر بين نسيجها ، حاولت الى حد ما ترتيبها بشكل ربما ـ اقول ربما ـ يساعد هذا التسلسل على منح القارئ فضاء أرحب في التحليق مع عوالمها وهموم ابطالها!

# آلو ... بغداد !

**الى موسكو ومارينا ورواد «حمام غوغول»**
**و... على راسهم كريم حسين، مع فائق... الأمل!**

ـ توت... توت... توت!

مرة اخرى ، ربما هي الخمسون... الستون... المئة ، توخز اعصابه ، هذه الاشارة الميتة وتقف كجدار أصم ، مخيبة آماله ، فأعاد سماعة الهاتف الى مكانها بهدوء . الساعة تجاوزت الثالثة بعد منتصف الليل . الفجر يقترب . نهار جديد وعذابات جديدة... « وصار العمر محطات » . أسئلة اخرى . ضياع آخر... « عديتهن مامش عرف » . ارتشف شيئا من الفودكا ، مص اخر قطعة من الليمونة ، وعد سجائره المتبقية . ضاعت اليوم كل حساباته للتقليل من التدخين ، مثلما ضاعت ورغما عنه اشياء كثيرة... « يا فشلة الملهوف المضيع هله » . خفض صوت جهاز التسجيل ، اشعل سيجارة وابتسم . لو تدري (لودميلا ايفانوفنا) لصاحت به :

ـ ممنوع!!

مادة رقبتها المعروقة ، جادة لان تنطق حرف العين كما يجب . أمس حين نهض صباحا ، وجد انها وكما اخبرته قبل ايام ، قد ذهبت الى زيارة ابنتها في لينينغراد التي عاد اسمها ليصبح ، بطرس بورغ . تحرك في الشقة

بسرواله الداخلي ، رفع صوت الراديو لتهدر الموسيقى في كل زوايا الشقة الصغيرة ، دخل الحمام وتحت رشاش الماء ، راح يغني بصوت عال ، ووقف امام المرآة في الممر عاريا ينشف جسده على مهل متفحصا ندوب جروحه القديمة . هاله كيف انه في الآونة الاخيرة نحف كثيراً . حدق طويلا الى وجهه ، تفحص عينيه ورقبته ، ابتسم بمرارة وخاطب المرآة :

ـ بدأت تشيخ يا صديقي!

سنوات كثيرة مرت حين سمع اول مرة هذه العبارة ، قالها له (روبرت) مازحا قبل استشهاده بأسابيع ، كانا يصعدان سفح جبل مثقلين ببنادقهما والأعتدة ومؤونتهما الشخصية ، يحملان بريداً عاجلاً من موقع لآخر ، حين هدهما التعب فجلسا لاستراحة قصيرة!

دخل المطبخ ، جهز لنفسه بيضا مقليا وصب كثيرا من الزيت ، في كوب كبير شرب شايا ثقيلا ، وآخر ، لكن قمة أفعاله كان تدخينه في المطبخ . فكر بصاحبة البيت ، العجوز الطيبة ، لو تعرف كيف انه ومرة واحدة ، كسر كل توجيهاتها ، خالف كل ما حاولت ان تروضه عليه طيلة الشهور الست التي عاشها مستأجرا غرفة في شقتها الصغيرة . اعتاد عليها جدا . في الشهر الاول كان يتجنبها ، يخشى فضولها وربما صفات ما في طباعها ، لكنه سرعان ما اكتشف فيها انسانا مثله يشعر بالوحدة . في البداية اخترعا لنفسيهما لغة هي خليط من كل شيء ، ثم بدأ يفهم قليلاً لغة البلاد ، وصار ممكنا التفاهم معها ، واستيعاب الحاحها ، واستطاعت العجوز الذكية ان تتلقف منه بعض الكلمات العربية ، لكن كلمتها الاثيرة صارت كلمة :

ـ ممنوع!

ممنوع التدخين داخل الشقة ، ممنوع شرب الشاي الثقيل ، ممنوع

قلي البيض بكثير من الزيت ، ممنوع شرب الفودكا باستمرار ، ممنوع...!
صار يحزن لها اذ يراها مسرورة معتقدة انها استطاعت ترويضه ، وكان يمارس كل الامور خفية عنها . حين زاره فوزي بعد شهرين من سكنه معها تبادلت وفوزي حديثا مسهبا ، اطلقت خلاله ضحكات مرحة ، كان يشعر انه محور الحديث ، لكنه لم يفهم كثيرا ، فيما بعد اخبره فوزي التفاصيل ، كانت العجوز ترجو ان يفهم ان كل تدخلاتها في شؤونه اليومية هي لصالحه ، فهو يذكرها بابنها الذي فقدته في الحرب في افغانستان ، وترجو ان يتصرف وكأنه في بيته ، ويستطيع استخدام كل شيء ، جهاز التسجيل القديم ، والمكواة ، والمكتبة ، وسمحت له العديد من الاشياء ، واخبره فوزي ان العجوز لمحت الى انه يمكن ان يدعو فتاته بين الحين والآخر للمبيت معه .

بعد اسبوعين تجرأ ودعا داريا ، تلك السلافية ، الملاك الهارب من الجنة ، تعارفا عند كشك كتب في شارع أربات القديم . بلغتها الأنجليزية المدرسية ولغته الروسية التي لاتشبه الروسية كثيرا ، عرف انها معلمة تعمل وتسكن في ضواحي موسكو ، في عطلة الاسبوع تأتي صباحا الى موسكو وتغادرها مساء في اخر قطار الضواحي ، تأتي دائما للتبضع والبحث عن الجديد في الكتب والسينما ، التقيا اكثر من مرة ، تجولا في شارع اربات وفي بارك غوركي وعند الساحة الحمراء ، دارت به على اغلب محال بيع الكتب ، جلسا مرارا في الحديقة العامة امام البولشوي تياتر او عند تمثال كارل ماركس ، دعته الى رحلة في مركب في نهر موسكو ودخلا مراراً متحف بوشكين . كان عليه ان يمتلك الكثير من الشجاعة ليدعوها لتقضي ليلتها معه في موسكو ، ترددت ، ثم هاتفت امها واصطحبها الى غرفته الصغيرة في بيت المتاهات ، كما صار يسمي شقة لودميلا ايفانوفنا ، جنوب المدينة ، ليس بعيدا عن محطة مترو جيرتانوفسكايا . حين فتحت العجوز لهما الباب ،

رحبت بحرارة بداريا ، وفي عينيها شع بريق محايد مفعم بالتوجس ، ثم استدعته خلسة لغرفتها ، راحت بهمس تسأله عن داريا ، عن درجة ثقته بها ، هل يعرفها جيدا ، وطمأنها ، بانها ليست شريرة ، وهي صديقة جيدة له ، وغمزته وسألت بحرارة :

ـ اتحبها ، اتحبك ؟

ونقل حواره مع العجوز لداريا ، التي راحت تبتسم بعذوبة ، واسترسل ليخبر داريا انه حاول اخبار العجوز انه من المبكر الحديث عن شيء اسمه الحب ، انه لايكتم اعجابه ، انه لم يقدم اي وعد لان مستقبله مجهول ، لم تغضب داريا رغم ان عينيها اظلمتا قليلا ، وانتبه لنفسه ، حاول ان يغير مسار كلامه ، تصور انه سيفسد الليلة ، وانها غير مستعدة لسماع شيئا من دواخله الحقيقية ، اذ ربما انها لا تستطيع ان تستوعب هذا الحزن المتراكم بداخله . شجعته داريا واطلقت الفودكا لسانه ، راح يتحدث عن ضيمه ، غربته عن وطنه الذي يحترق وصار لا يستطيع فعل او تقديم شيء مباشر ، أمه التي ماتت بعيدا عنه مرددة اسمه ، واصدقائه وناسه الذين اختطفهم الموت ليجد نفسه لو عاد بلا شواهد لماض الطفولة والصبا . حاول التوقف لكن داريا رجته الاستمرار ، حدثها عن ابنة مدينته ، الفراشة التي لم يصدق انه عثر عليها ، وتبادلا حبا باركه المقربون ، لكن بعد هروبه بثلاث سنوات ، زوجها أبوها من مقاول يعد العدة لشراء عمارته الثانية في بغداد . حدثها عن سنين كردستان ، عن زهرة العمر التي توهجت عند صخور الجبل ، بعيدا عن كل حضارة ، او حياة طبيعية ، هناك حين تجبرقسوة الحياة الانسان على تلمس الكلمات الخشنة بيديه ، مثلما يتلمس قسوة الصخور . حدثها عن روبرت ، وامانيه الاخيرة ، روبرت الذي كان يطيب له ان يلهو برمي قبضة ثلج من اعلى الجبل ، وبانحدارها تكبر وتكبر فيصرخ :

ـ انظر كم هي كبيرة دموع الجبل!

بمرارة حدثها ، عن الانصار الذين كانت تتغنى بيانات الاحزاب بهم ، منحتهم من الصفات ما يثير الخيال ، ورفعت الانخاب بأسمائهم . أخيرا وجدوا انفسهم في عواصم غريبة ، مشردين بلا عمل ، بلا ضمانات ، بدون دعم حقيقي من اي جهة ، كل ما يملكونه شيء من امل ان يستجيب معارف واقارب لهم في دول اللجوء ، فيصغون الى رسائلهم التي يرسلونها كطلبات استجداء ، مكتوبة باساليب تهز العواطف ، ولو توفر المبلغ الكافي لاحدهم ، فربما يلتهمه احد المهربين ، وربما يصل به الى احد البلدان الاسكندنافية ليحصل على اللجوء وليلحق بمن سبقه ، ليعلك ما تبقى له من العمر بين جدران الوحشة .

تذكر كيف ان داريا تكورت على نفسها ، شدت ساقيها لصدرها تحت دشداشته العريضة ، مثل طفلة حاصرها البرد ، وراحت تصغي بانتباه وفم مزموم وعينين زاد اتساعهما لهذيانه الذي اندفع كالسيل . حين تهدج صوته ، لمعت عيناها بشيء صاف . حين ذكر لها انه نسي اخر مرة قبّل فيها إمرأة اندفعت اليه وعانقته . كتم رغبته في البكاء وشعر انه يظلم معه الفتاة التي زجها في دوامة همومه ، حاول ان يعتذر ، اسكتته بقبلاتها الحارة ، ثم اندلق جسدها السلافي في سريره ليشعل نيرانه . كانت ليلة حب واعترافات . اذ حدثته عن نفسها وخيباتها . عن والدها الذي ادمن الخمرة مع انهيار الاتحاد السوفياتي . افنى عمره مدافعا عن مثل وقيم نظام سياسي واجتماعي ، ثم تهدم كل شيء . عاقر الخمرة ، ليلقي عليها مسؤولية الاسرة . أم شبه مقعدة واخ صبي مايزال لايفقه شيئا . تعرفت الى شاب واعتقدت انها ستبني معه اسرة وتستقر لكنه مع موجة الاصلاحات ، استسهل الثراء عن طريق الاعمال غير المشروعة ، فتغير تماما ، صار همه الكسب

السريع ، ولم يعد الشاب الذي عرفته ، فافترقا . كرست اوقاتها لعملها واسرتها . دوما ظل يتذكر تلك الليلة اذ اختلطت الدموع بالقبلات والشهقات ، كان كل يبكي نفسه ، احسا بصفاء عجيب ، لم يناما تلك الليلة حتى الفجر ، ظلت داريا طوال الليل ملتصقة به كطفلة ، تحدثا ليلتها عن كل شيء الا المستقبل ، كأنهما اتفقا على ذلك ، اذ ظل مساحة محرم الخوض فيها ، لكنه احيانا يعبر الخطوط المحرمة ، فيلمح لها عن خططه بالسفر الى السويد ، عن امله بسقف آمن ، عن حلمه بالعودة الى بلاده بعد زوال كابوس الارهاب والحروب ، فكانت عيناها تومضان بألق اليف ، كان يراه في عيني فراشته العراقية ، حين كان يرسم لهاصورا لايام سعادتهما القادمة .

ـ توت... توت... توت!

مازال الهاتف صامتا ، يعانده ، يزيد من المه وعذابه . بعد الفطور غادر منزل المتاهات ، ليتيه في انفاق مترو موسكو الضخم كاخطبوط معدني اسطوري . انتظر فوزي في مقهى فندق موسكو ، ليس بعيدا عن الساحة الحمراء ، فجاءه حسب الموعد ، ليسلمه بعض الصحف والمجلات ويزوده ببعض الاخبار وليغادره مسرعا للحاق بموعد ثان له . كان يود ان يتبادل وإياه حوارا عن ايام دراستهم في الجامعة ، ان يشحذ بوجوده الذاكرة عن الاخرين ، عن تلك الوجوه التي غابت او اندثرت ، لكنه ابتسم بود وطلب منه ان يتصل به في اية لحظة لو احتاج لمساعدة . ساعده فوزي كثيرا ، عثر له على غرفة في شقة لودميلا ايفانوفنا ، ورغم بعدها عن مركز المدينة ، والاضطرار لاجراء اكثر من تبديل في قطارات المترو ، ثم ركوب الحافلة ، مما جعله يسميه بمنزل المتاهات ، الا ان السعر كان مناسبا ، وصاحبة الشقة امرأة رائعة . ويوم مرض ، لم يتركه فوزي وحيدا ، كرس له الكثير من وقته ، رغم ارتباطاته بالدراسة وزوجة روسية ، ولكنه يريد من فوزي شيئا

اخر ، غير هذا ، كان يريد ان يسهر ولو مرة مع فوزي ، مثلما كانوا يفعلون ايام دراستهم الجامعية في البصرة ، ان يصخبوا مثلما كانوا يفعلون في «اسيا بار» ان يسكر فوزي ويبدأ بالحديث عن السينما ، ثم يقرأ اشعارا لسعدي يوسف ومع هبوب انسام شط العرب يطلب منه ان يغني شيئا لحسين نعمة ، ومع الكأس الاخيرة ينخرطان في البكاء ، ولا يعرفان ما الذي يبكيانه! انتظر في مقهى موسكو مجيء احد ما بدون موعد ، ابو عارف مثلا ليدور الحوار ذاته :

ـ ها ابو العوارف ، كيف الاحوال ؟

ـ احوالي ذاتها ، واحوال الناس صعب معرفتها ؟

ـ السبب ؟

ـ ماتنعرف اسرار الناس!

ـ والمزاج ؟

ـ بحاجة الى ترتيب قلقي بشكل ما ، ليستعدل المزاج!

غادر مقهى موسكو ليتجول على طول شارع غوركي باتجاه البريد المركزي . هناك كان الافغانيون والهنود يرطنون بلغتهم ، ويعيشون حياتهم الخاصة . اقترب من احدهم وسأله بالانكليزية عن سعر التصريف ، فبرطم هذا ولم يجبه كأنه عرف ان سؤاله ليس اكثر من فضول . دخل المبنى الكبير للبريد ، دار في قاعاته الواسعة لا على التعيين . لم ير وجها مألوفا لديه ، الوقت مايزال مبكرا للذهاب الى ساحة بوشكين . غادر البريد وعبر الشارع الى الجانب الثاني متوجها لقرب مسرح تشيخوف . هناك دخل مخزنا لبيع الكتب ، ورغم معرفته بانه لا يملك مالا فائضا لشراء اي كتاب ، الا انه كان يتحايل على نفسه لارضائها ، لاشباع شيء من حاجته بتلمس اغلفة الكتب الجديدة وقراءة العناوين والفهرس . ان مصروفاته محسوبة بدقة لايمكن الا

ان يحسده عليها امهر المحاسبين ، فالقرض الذي حصل عليه من احد اصدقائه القدامى ، والمقيم في السويد ، قرر ان لا يمسه ابدا حتى لو مات جوعا ، وخصصه لتكاليف السفر . حاول ان يسير اموره بالمبلغ البسيط الذي صار يقبضه كمساعدة من مكتب الامم المتحدة لشؤون اللاجئين ، واذ لمست داريا معاناته ، عرضت تقديم شيء من المساعدة ، رفض ذلك بشدة ، وتطلب اقناعه الكثير من الجهد ، ليقبل مشاركتها في الصرفيات ايام زياراتها له ، لانه لاحظ كم يجلب ذلك السرور لنفسها . كان يلمس جيدا سوء احوالهم المعيشية ، يشعر بالمرارة لذلك ، للوضع الذي سارت به حال البلاد واهلها . كان يحلم بزيارة موسكو ، المشي في شوارعها ، تلمس حجارة الابنية التي كانت شاهدا على احداث عاصفة في حياة البشرية ، المرور في الساحة الحمراء من تحت منصة قبر لينين والتحديق الى المكان الذي اعتلاه رجال طالما قضى اياما وليالي يقرأ عن سير حياتهم! ووصل موسكو لكن ، مع خراب البصرة ، ليكون شاهدا على اندلاع الحريق وانهيار صرح كان له نبراسا ومنارة! وبقدر حجم المرارة التي ترقد في روحه كان وآخرون يعتقد ان هذا كان ضروريا لتتطهر الافكار من الدنس الذي لحق بها ولينهض صرح جديد ، ابهى وأرحب!

غادر مخزن الكتب ، وسار على طول الشارع . بلغ دار سينما روسيا . هنا عند سلالم السينما وهما متوجهان الى رؤية فيلم فرنسي ، اخبرته داريا برغبة اهلها في لقائه ، بعد اسبوع وجد نفسه وسط العائلة التي عاملته بلطف كبير اثار اضطرابه ، خاصة حين حانت ساعة النوم ليجد انهم قد رتبوا له مكاناً وداريا في الغرفة الخلفية للمنزل . تجول في الحديقة الملاصقة لدار السينما ، كان بوشكين يعطيه ظهره ، ويتجه بوجهه مفكرا باتجاه مطعم الماكدونالد ، وربما يقول لكل من يمر به ، ويرفع رأسه اليه :

ـ «ما زال ثمة قول اخير... وافرغ من تدوين الاحداث»!

سأله ابو عارف يوما :

ـ ماذا تعتقد ، ما الذي دفع العراقيين الى اختيار ساحة بوشكين مكانا للقاءاتهم ؟

ـ ...!

ـ انا اجيبك ، حين اختار الصوماليون مطعم الفولغنا عند جامعة الصداقة مكانا للقاءاتهم ، لحقتهم العاهرات الى هناك! وحين اختار الهنود والافغانيون البريد المركزي في شارع غوركي مكانا للقاءاتهم ، ظهرت العاهرات هناك ايضا . العراقيون اذكى من الجميع ، اختصروا الجهد على انفسهم والعاهرات ، فساحة بوشكين اساسا هي مكان تجمع العاهرات ، بحكم وجود الماكدونالد وكثرة الاجانب!

ضحك البعض يومها لتعليق ابو عارف ، لكنه في داخله كان يشعر بالالم ، فهذه الساحة المكشوفة امام مبنى صحيفة الازفستيا الروسية ، والتي استعار لها العراقيون اسم ساحة بوشكين المجاورة ، هذه الساحة عالم خاص ، لايمت بصلة لموسكو المثقلة بهمومها . عالم له طقوسه واسراره وهمومه العراقية . ففيه تتجاور وتتعايش العديد من الاشياء المختلفة وحتى المتناقضة . لاجئون من كل المدن العراقية . عرب واكراد واشوريون . قوميون واسلاميون وشيوعيون . عسكريون هاربون وانصار سابقون . ثوار انتفاضة ورجال سلطة صحت ضمائرهم او شموا رائحة وشك غرق المركب . في هذا المكان يمكن سماع اخر اخبار الوطن ، واخبار العالم ، واخبار العراقيين في كل المنافي ، فهو مركز اعلامي يبث حيا ، يكفي ان تصل احدهم مكالمة فيها معلومة ما ، حتى تتولى ساحة بوشكين بثها باسرع ما تفعله امهر وكالات الانباء . في هذه الساحة يقف بانتظار الزبائن : صرافو

العملة ، وكلاء المهربين ، بائعو جوازات السّفر والسندويج والشاي ، المزورون ، العاهرات ، ورجال الامن الروسي المختارون باشكال قريبة لملامح العراقيين ليضيعوا وسطهم . هذه الساحة تكاد تكون افضل مرآة عاكسة لعذابات العراقيين وضياعهم في المنافي بحثا عن سقف آمن... ما يزيد في الالم ، انه ويوما بعد اخر صار للساحة مشاكلها . في كل مرة كانت داريا تأتيه بقصاصة من صحيفة روسية تحاول ان تصور كيف ان المكان صار بؤرة لاعمال غير قانونية وانه مركز لترويج المخدرات . صارت الصحافة تتصيد الاعمال الطائشة لبعض العراقيين لتنفخ فيها ، راحت الشرطة تتفنن في القيام بكبسات دورية لاعتقال البعض ، ثم اطلاق سراحهم بعد فرض اتاوات معينة ، يدفعها العراقيون عن طيب خاطر للخلاص من ورطة اكبر . بدأ يتحاشى المجئ الى الساحة ، لكنه مثل الآخرين لايمكن ان يكون بعيدا عنها ، اذ فجأة يظهر مهرب بطريق مضمون لاحدى دول اللجوء ، فتفوتَهُ فرصة مثلما حصل قبل شهرين ، اذ ان تردده جعله يفوت الفرصة ، ويومها حتى داريا عنفته على ذلك . حاول وآخرون ان يجدوا مكانا بديلا من الساحة . لحين بدا لهم ان اللقاء في مقهى موسكو اكثر امانا ، لكن تردد المافيا الجورجية عليه وكونه شبه مقر للقاءاتهم كان يلقي عليهم ضلال الشبهة . ايضا بعد المكان عن ساحة بوشكين ، في كل الاحوال كان يدفعهم الى ارسال من يشم لهم الاخبار ، ويوم ارسلوا ابو عارف لشم الاخبار لم يعد لهم الا في اليوم التالي ، بعد ان قضى ليلته في التوقيف وشبع اهانات ولكمات وارغموه على دفع الاتاوة ، فوقف لهم بباب المقهى بشكل كاريكاتيري :

ـ اولاد الزانية ، بسببكم غرموني حوالي عشرين دولارا ، الان تجمعونها لي ، وتعويضا عن الصفعات واللكمات ترتبون لي قلقي في اقرب بار!

وجاءهم فوزي بالحل دون ان يقصد . فقد صحب مجموعة منهم ، يوما لعرض مسرحي بعد حصوله على بطاقات مجانية ، ورغم انهم لم يفهموا كثيرا من العرض ، لكن اجواء المسرح ، وطقوس العرض ، جعلتهم ينسون قليلا همومهم ، بعد العرض اقترح فوزي ان يذهبوا الى مكأن يبيع البيرة باسعار رخيصة ، وهو مكان مثير للخيال بموقعه ، قال وهو يطلق ضحكة رنانة :

ـ قيل ان غوغول مر بهذا المكان يوما وتناول فيه اكواب الجعة الروسية!

وسواء كان غوغول حقا قد مر بالمكان او ان ذلك كان واحداً من مقالب فوزي لهم ، فالمكان بينهم صار يعرف باسم «حمام غوغول» وصار مكانا لتجمعهم اليومي ، فليس بعيدا عن ساحة بوشكين وفي ركن زقاق يتفرع من شارع غوركي ، وبعد نزول ثلاث عشرة درجة في سلم ملتوٍ ، ودفع باب حديد صغير ، تصفع المرء ابخرة الهواء الفاسد والتبغ الرخيص المشبعة برائحة السمك المقدد ، ويجد المرء نفسه في قبو واطئ السقف ، باطواق حجرية ، تستند الى اعمدة متينة قال ابو عارف انها تذكره ببنايات الحمامات الشعبية في العراق ، هناك يتردد كل يوم العاطلون عن العمل ومدمنو البيرة الرخيصة ، وايضا العاملون في الجوار الراغبون في وجبة طعام رخيصة وكأس بيرة بارد!

على هذا المكان راحوا يترددون ، ثم ظهر آخرون ، ونشط ابو عارف في جمع الاخرين ، يرفع سماعة الهاتف ، ليسأل :

ـ الا ترغب بترتيب قلقك ؟

ـ ...!

ـ اذن ننتظرك في حمام غوغول!

وكان من السهل ارسال شخص الى ساحة بوشكين ليتشمم الاخبار ويعود قبل ان يصل الدور لصاحبه الذي يقف في الطابور لاستلام البيرة .

ـ توت... توت... توت!

من اسبوع والعراقيون ، الجميع ، في ساحة بوشكين ومن يتردد على حمام غوغول ، يتحدثون في موضوع واحد ، لم يكن السفر والمهربون والفيز المزورة واسعار الشقق وجوازات السفر او آخر الاخبار والاشاعات ، كان الجميع يتحدثون عن فتح الخط الهاتفي المباشر بين موسكو وبغداد! ومع فتح الخط سرت حمى رهيبة بين الجميع ، راح الجميع يتصل بكل من يعرف ، بالاهل والاخوال والاعمام والاصدقاء ، صارت ارقام الهواتف تنتقل بين الايدي ، وكان ثمة ضحكات لها طعم اخر ، وفي العيون ألق لايشبهه اي الق ، خاصة لاولئك الذين تحدثوا مع اهاليهم ، وكانوا لسنين طويلة لايعرفون عنهم شيئا ، كان ابو عارف طلقا ، لدرجة انه همس :

ـ اتدري ، لقد اتصلت بجيراننا ، اذ قبل ان اغادر بغداد بشهور تخاصمت واياه وكنت انا الغلطان ، لقد اعتذرت منه!

طوال الاسبوع كان يستمع للحوارات الجارية مع الامهات والاخوات ، اسئلة الاهل وقلقهم ، امنيات الاصدقاء واشواقهم . كان يستمع فقط ، ولم يبادر احد ليسأله هل اتصل باهله ؟ رغم انه كان يخاف هذا السؤال كثيرا ، فهو في دخيلة نفسه لم يكن ميالا للحديث عنه ، مثلما لم يكن ميالا للحديث عن نفسه . فوزي وحده الذي يعرف عنه الكثير ، يعرف انه ليس لديه من يهاتفه ، امه التي ماتت كمدا وتبرع الجيران بدفنها ، واخ سلبته الحرب منه وعرف خبر موته عرضا ، اما اخواله فهو لايعرف عنهم شيئا ، منذ ان قاطعوهم تجنبا للاذى! والبارحة ، بعد ان مر بساحة بوشكين ، لم يكن هناك من جديد ، سارع الى حمام غوغول ، ليجد ان الشلة قد سبقته الى هناك وبدأت في الحديث عن الموضوع نفسه ، اخبار المكالمات مع العراق والصعوبات التي بدأت تظهر على الخطوط الهاتفية . كان يستمع

مثل كل يوم ، واذ سأل احدهم فجأة عن مفاتيح المدن ، تلقائيا فتح الجميع ما عداه مفكراتهم ، وراحوا يدققون معلوماتهم ، يسجلون ملاحظات ما ، وساعتها لم يكن في رأسه غير النعاس الذي تولده البيرة الرخيصة بعد الكاس الثانية ، فغادر مبكرا وفي باله ان العجوز ستتصل للاطمئنان عليه وعلى المنزل ، فيجب ان يكون هناك ، وايضا سيستطيع ان يتحدث مع داريا في الهاتف بحرية وسيحثها على المجئ مبكرا في عطلة الاسبوع لاستغلال ايام غياب العجوز!

ـ توت... توت... توت!

في المنزل ، وجد ان لديه شيئا من الفودكا ، ونصف ليمونة ، فاعد لنفسه عشاء خفيفا ، وجلس الى جانب التلفزيون ، ليتصفح المجلات والصحف التي جاءه بها فوزي ، وهو يقلب احداها ، وجد ان ثمة كتب على حاشيتها ارقاما ، لم يكن صعبا عليه ان يدرك انها ارقام هواتف لمدن مختلفة في العراق ، يبدو ان احد الحاضرين كتبها على حاشية الصحيفة لسبب ما ، حاول ان يتذكر من فعل ذلك ؟ لقد دارت الصحف تقريبا بين اغلب المتحلقين على الطاولة واستقرت امام بعضهم طويلا . وفكر : من سيكون بحاجة عاجلة للارقام ربما سيتذكر ان الصحف تعود له وسيتصل!

ـ توت... توت... توت!

واجهته ارقام الهواتف كلما قلب الصحيفة ، انها لمدن مختلفة ، وليس بينها اي رقم يعود له ، ولكن لماذا بدأ البعض يتحدث عن صعوبة الحصول على الخط مع العراق ، هل ذلك صحيح حقا ؟ وماذا يهمه هذا ما دام لا يوجد لديه هناك من يهاتفه ؟ فجأة ولمجرد الفضول ، اختار واحدا من الارقام وحرك قرص الهاتف :

ـ توت . توت... توت!

وكمن اصابه شيء من عناد ، وربما للتاكد مما يقولون ، راح يدير قرص الهاتف على كل الارقام المسجلة على حاشية الصحيفة :

ـ توت... توت... توت!

اتصلت العجوز فطمأنها على كل شيء ، واوجز حديثه مع داريا التي وعدت ان تحاول المجئ مبكرا ، وواصل محاولاته مع الخط الخارجي :

ـ توت... توت... توت!

ومرت ساعات ، انتصف الليل ، قرأ كل الصحف والمجلات ، اغلقت كل محطات التلفزيون ، والاشارة الميتة تستفز اعصابه ، جلب جهاز التسجيل من غرفة العجوز ، وضع فيه شريطا استعاره من فوزي ، وراح يتقلب بين صمت الهاتف و... «صار العمر محطات» .

ـ توت... توت... توت!

هل ما يفعل بتأثير الفودكا ، ام انه بحاجة ليثبت شيئا ما ، وما يريد ان يثبته هل هو لنفسه ام للاخرين ؟ طيب ولنفترض انه حصل على الخط ، بماذا سيرد عليهم ، انه حتى لايعرف من هم اصحاب هذه الأرقام ، ماذا سيقول لهم ؟

ـ توت... توت... توت!

حرك قرص الهاتف من جديد ، خيل اليه انه سمع وشوشة وازيزا في اسلاك الهاتف ، فانتظر ، كانت الاصوات تختلط بشكل توخز فيه جنبه الايسر ، احس بشيء يسحبه ، يشده الى سماعة الهاتف ، ويطوف بروحه ، جعله يحمل جهاز الهاتف بيديه ويدور في الحجرة ، شيئا كأنما يسحبه ويجعله يطير عبر اسلاك الهاتف ويحلق في الاثير ، يدور هناك فوق المدن والنخيل ، بين الازقة وشرفات البيوت ، تحت الشمس وفي ظلال اسيجة المدارس الواطئة ، عند نواصي الشوارع وشواطئ الانهر ، عند المكتبات العامة ومداخل المقاهي ، و... فجأة صاح بأذنه صوت واضح :

ـ الو... الو ؟

كان الصوت لامرأة جرها الهاتف من سريرها :

ـ ألو... ألو ؟

كان الصوت مثقلا بالنعاس لكنه مترعا بكل الحنان واللهفة والاشواق ، و كأن صاحبة الصوت ادركت ان من يهاتف في هذا الوقت المبكر لابد ان يكون من بعيد ، راح الصوت يصيح بلوعة :

ـ الو... هنا بغداد ، الو... بغداد... بغداد!

ولم يستطع ان يجيب بكلمة ، اغلق الخط ، بهدوء ، واجهش بالبكاء!

شباط ١٩٩٣

موسكو

# عيون خضر في وجه أسمر

## ١

في السرير مع امرأة بشعر كثيف . يحس بالقبلات تحرق كل خلايا جسده . استعذب ذلك . امرأة ليس لها وجه محدد . تحمل ملامح امرأة اشتهاها يوما ما في صباه البعيد ، واذ ترك اصابعه تجوس في اللحم البض ، كانت نشوته تزداد وهي تجاريه بخبرة ، وحين لامست اصابعه اذنيها قال لنفسه :

ـ ساستيقظ!

لكنه استمر . زحفت شفتاه على طول عنقها ، ازاح شعرها ليرى ان لها اذنين ذهبيتين . لم تعر دهشته بالا ، كانت تموء تحته مثل لبوة ، سحب نفسه جانبا ، وقال :

ـ سأستيقظ!

طوقته بذراعيها وهي تضغط نهديها على صدره الذي ضاق تنفسه :

ـ مالك ؟

ـ لم افهم!

دفعته عنها بغضب . ارتدت ملابسها بلمحة . ثبتت اذنيها الذهبيتين مكانهما جيدا :

ـ الحق بي!

ووجد نفسه واياها في محل كبير ، بديكور فخم ، يسطع بالاضواء ، تزدحم رفوفه بكل الاعضاء البشرية . اطراف سفلى وعليا ، ناقصة وكاملة ، اذان وعيون وانوف ،... ، اعضاء من الخشب والنحاس والبرونز والبلاستك والذهب والفضة والزجاج و...

ـ لا استطيع ان افهم هذا ، سأستيقظ!

سحبته من يده بفظاظة الى جانب رف زجاجي يبدو الأرحب بين الرفوف وهي تطلق ضحكة داعرة :

ـ انظر ، حتى هذا! يمكن للمعوقين جنسيا ان يختاروا الحجم المناسب ويضمنوا فحولتهم ، سينقذ من العجز وامراض الشيخوخة واثار العادة السرية ، ويمكن ايضا...

فتح عينيه!

على الطاولة الصغيرة ، قرب السرير ، من ايام ، ترقد صحيفة اجنبية ، تحمل صورة جندي عراقي صلمت اذناه!

## ٢

هناك ، عند المرسى القديم ، على النهر ، ليس بعيدا عن الكازينوهات الصيفية ، على مقربة من خزان اسالة الماء القديم ، حيث اعتاد صيفا وصحبه قضاء فترة الظهيرة ، في السباحة والغطس وصيد السمك بالسنارة ، قابل اخاه!

أثاره جدا انه مايزال صبيا مثلما تركه حين غادر بيتهم قبل عشرين عاما . ما ان راه اخوه ، حتى رمى نفسه في النهر :

ـ ما الذي تفعله ؟

لم يلحق ليسمعه . وجد نفسه يخشى الاقتراب من النهر هو الذي كان يعبره ذهابا وايابا في تنافس دائم مع صحبه . اكتشف لحظتها انه لا يجيد السباحة . قال لنفسه :

ـ سأستيقظ!

اخوه مايزال تحت الماء . تركه لايجيد السباحة . هل تعلمها خلال فترة غيابه الطويل ؟ انتظر ان يطفو فوق سطح الماء . لكن الوقت مر طويلا . البرد شديد . فيلة ميتة تطفو على سطح النهر . عجوزان ليسا بعيدان عنه يتسليان بعدّ عقارب بحجم القطط خارجة من النهر الى اليابسة . لم يفهم شيئا مما يجري . قال لنفسه :

ـ لن احتمل طويلا ، سأستيقظ!

فجاة ، ظهر اخوه الى جانبه ، رمقه بنظرة غاضبة ، وقال :

ـ دائما تنتظرون النتائج!

وقبل أن يفتح فمه ليرد بكلمة ، رمى بنفسه ثانية في النهر ، غطس قليلا ، وظهر ، كرر ذلك عدة مرات ، وكلما ظهر على سطح الماء كان يقول لنفسه :

ـ انه يعبث بي ، سأستيقظ!

فتح عينيه!

كان يغط بالعرق ، على الطاولة الصغيرة ، المعدنية ، ثمة رسالة من اخيه تخبره بولادة طفلته الثانية!

# ٣

كيف وصل عود خاله بين يديه لا يتذكر ، لكنه بدأ العزف فورا ، كان يحرك اصابعه بين الاوتار بمهارة المتمكن ، لكنه لم يسمع اي صوت! حاول ثانية ، لكنه بدلا من الموسيقى سمع ضحكة رنّت في اذنيه مثل صفعة ، ادرك انه لن يكف عن زج نفسه بمواقف كهذه ، فقال :

ـ سأستيقظ!

لكنه يواصل محاولة العزف ، ويتواصل الضحك ، فترك العود وسار بأتجاه مصدره . كان يأتيه من الطابق العلوي ، واذ تفحص المكان وجد نفسه في حوش بيت قديم من طابقين ، يشبه بيت جده تماما ، وليتأكد من التشابه تفحص السلم الخشبي ورمانات الدرابزين ليجد هناك اسفل الحواشي الملساء ، الحروف الاولى من اسمه واسماء ابناء اخواله ، انتبه الى ان العوارض التي صممها جده بنفسه بعد تزايد عدد احفاده ووضعها بين اعمدة الدرابزين ليمنع سقوطهم ، قد ازيلت بفظاظة... قال لنفسه :

ـ سأستيقظ!

لكنه واصل صعود السلم باتجاه مصدر الضحك . هناك ، اعلى السلم ، عند نهاية الدرابزين ، في الفسحة المؤدية الى غرفة خاله المحرم عليهم دخولها ، رأى طفلة بثوب رماني وضفائر طويلة ، لم تنتبه له لانها كانت تلهو مع دميتها القماشية وتطلق ضحكات عذبة ، عرف فيها امه ، قال :

ـ ساستيقظ!

حركت الطفلة ذراعيها بمرح ، ففلتت الدمية من بين ذراعيها ، كان مايزال في منتصف السلم ، رأى كيف هوت الدمية من عل الى البلاط الصلب لارضية الحوش ، وكيف زحفت الطفلة مادة راسها ما بين فتحة الدرابزين ،

وراحت تميل منادية دميتها بالعودة ، حاول الاسراع لكن قدميه سمرتا بارضية السلم بينما مال جسم الطفلة كثيرا . قال لنفسه :

ـ افتح عينيك لانقاذها!

فتح عينيه!

وجد نفسه يحدق الى ساعته اليدوية المطروحة على الطاولةالصغيرة ، المعدنية ، الواطئة!

## ٤

يقف مذهولا امام باب عريض عال ، محكم الاغلاق . كيف وصل الى هنا ؟ من جاء به ؟ يحس وكأنه جرى سنيناً ليصل هذا الباب . ثمة انين خافت يصله ، يصدر من مكان ما خلف الباب ، يجذبه اليه ، انين يعصر القلب بكف من حجر . فجأة انفتح الباب ، يجب القول انه تلاشى ، وكأن الجدران امتصته . لاح له ممر بلا نهاية . ضوء شاحب وقرار مظلم . على جانبي الممر ، متجاورة ، ارتفعت ابواب عريضة عالية محكمة الاغلاق . الانين مستمر ، يناديه باسمه . قال لنفسه :

ـ سأستيقظ!

يشعر بنفسه يخترق الزمن . مقتربا من مصدر الصوت ، الذي بدأ يتحول الى صراخ يهز المكان . بدأ بفتح الابواب ، كانت تفتح بطريقة سحرية ، كانها تختفي ما ان يمسها باطراف اصابعه . قال لنفسه :

ـ هذا غير ممكن ، سأستيقظ!

غرف مختلفة الحجوم ، غرف تزدحم بكل ما هو غريب ، ولا يمكن فهم صلته بالمكان . تلال من الجرذان الميتة والخوذ العسكرية ، بساطيل

وحمالات صدر نسائية ، واقيات غاز وربطات عنق ، ضفادع وافاع ، وفي غرفة ثمة رجل اعور يضاجع امرأة صلعاء . قال لنفسه :

ـ هذا اكثر من طاقتي ، سأستيقظ!

يدخل غرفة ، ثمة اصوات من لامكان تداعب اذنيه باغنية احبها يوما ما ، في طفولته او في صباه . الغرفة تزدحم برفوف ، تصطف عليها اقداح بلورية انيقة الشكل ، وبحجوم مختلفة ، وفي كل قدح ثمة عين بشرية حية . عيون بألوان خلابة : سوداء ، نرجسية ، زرقاء ، وخضراء... يا للروعة! توقف امام قدح بعين خضراء ، محاطة بزهور وحشية الجمال ، زهور كل تويج بلون . قال لنفسه :

ـ لا يمكن استيعاب هذا ، ساستيقظ!

تسمر امام باب يعلو من خلفه الصراخ الذي شده للبحث خلف الابواب . دخل الغرفة ، وجد امرأة تناديه بأسمه . من اين لها ان تعرف ذلك وهو الذي قضى سنينه يتكتم على اسمه ؟ اقترب منها . كانت شبه عارية ، مكشوفة الساقين ، وبيدها خرقة ملوثة بشيء قاتم ، صاحت به :

ـ ماذا تنتظر ، اصعد فوق المنارة واهتف : ياقريب الفرج... عالي بلا درج... عبدك بشدة ويطلب منك الفرج... يا الله!

قال لنفسه :

ـ سأضع حدا لهذا ، ساستيقظ!

عاد الى الغرفة . دنا من المرأة . اثاره انها بعين واحدة . عينها الثانية مطفأة . مجرد فجوة فارغة ، قبيحة ومقرفة . ادرك انه يعرف المطلوب منه . عاد الى الممر والابواب المغلقة ثانية . اين الغرفة المطلوبة ؟ جرذان ، عقارب ، ضفادع ، خوذ عسكرية ، ربطات عنق ، حمالات صدر نسائية ، واقيات غاز ، بساطيل ، افاع... و... ، وهاهي الغرفة

المطلوبة! يدخل على اطراف اصابعه . يدور بين الرفوف . يقف امام قدح بحواش ذهبية ، تلمع على صفحته نجوم شذرية ، في قعره تستقر عين بلون اخضر . قال لنفسه :

ـ ساستيقظ!

عاد الى المرأة ، جثا الى جانبها . اسند كتفيها الى صدره . تزم المرأة شفتيها . تصرخ . سحب راس المرأة اليه . يرفع خصلات شعرها عن وجهها . بكمه مسح جبينها ، بحذر وبانامل مرتجفة رفع العين من قعر القدح ليضعها في التجويف الصغير البشع . اطبقت المرأة جفنيها . طبع على عينها قبلة. تفتح المراة عينيها . اراد ان يصيح : ما هذا ؟ يا للروعة! لكنه قال لنفسه :

ـ ساستيقظ!

ثمة ريح تصفق نوافذ الغرفة . تطير الستائر ، فيتناثر منها زهر بشذى أليف . تمسك المرأة بيده . تضغط عليها بقوة . تطلق صرخة . من بين فخذيها تطل يد صغيرة ناعمة ، ثم تمتد يد صغيرة ثانية . تحاول اليدان ان تتشبثا بالبلاط الاملس وسط الدماء التي تغطي المكان . المراة تواصل الصراخ ، ومن بين فخذيها يمد طفل رأسه ، ويبدأ بسحب نفسه للخارج ، يظهر جانب من كتفه ، ثم الكتف الثانية ، يسحب نفسه بهدوء غير عابئ بصراخ المراة . يخرج ساقه اليسرى ، ثم اليمنى . ما ان يصير جسمه كاملا على البلاط ، حتى يرفع يديه للاعلى ، يمدهما جانبا ، يفتح فمه ، يتثاءب ، يفتح عينيه ببطء ، يدق على صدره ، يغمز لامه ، ويقترب منه ، يشير له ان ينحني اكثر ، وما ان يفعل ذلك ، حتى يربت على وجنتيه ، يغمز لامه ثانية ، ويتجه نحو زاوية الغرفة ، يضغط زر التلفاز ويجلس ليتفرج على نشرة الاخبار .

يفتح عينيه!

يجد نفسه يحدق الى كأس الماء على الطاولة الصغيرة ، المعدنية ، الواطئة ، ذات القوائم الثلاث!

## ٥

فتح عينيه!

فجأة ، وكأن احدا ما طلب منه ذلك! استقرت عيناه على الطاولة الصغيرة ، المعدنية ، الواطئة ، ذات القوائم الثلاث . هناك استقرت ساعته اليدوية ، مايزال الوقت مبكرا ، تجرع ما في الكأس من ماء ، تناول بقايا سيجارة ، اشعلها وراح يدخن مباشرة في السرير . كيف سيقضي يومه الطويل ؟ التسكع في شوارع فارغة ، في مدينة بنهارات مظلمة ، يهجر سكانها شوارعها مبكرا فتبدو كأنها مقبرة! يذهب الى المكتبة العامة التي ملّت كراسيها جلوسه اليومي! الى أين ستقوده قراءاته تحت سماء ملبدة بالخيبات ؟ أيهاتف احد المعارف ليقتلا الوقت في مقهى ما ؟ أم يهاتف امرأة يعرفها ليلتقيها ، ثم ماذا ؟ الى متى يستهلك نفسه بعلاقات طارئة ؟ ان يمنح نساء عابرات ما تبقى في ذخيرته من الحب ؟ الى متى ستستمر الجدران العارية لشقته الباردة في استقباله بعد نهاية يوم من البطالة وخداع النفس ؟ كيف سيقضي بقية ايامه في بلد حل فيه دون اختياره ؟ الرغبة في سقف آمن دفعته الى القبول بأي بلد اختاره له المهربون ، الذين قادوه عبر حدود وحدود بعد ان نجحوا بابتزازه والالاف مثله ، وكان عليه الاذعان للامر الواقع . ورغم انه يحمل وثيقة سفر رسمية من البلد ، الا انه في كل مرة يسافر ، عليه ان يقف طويلا امام بوابة الاجانب ليتأكدوا من شرعية الوثيقة ولينبشوا تاريخ اجداد اجداده! وكل مرة يدفعه ذلك الى تذكر اول مرة وقف

فيها عند بوابة الاجانب ينتظر دوره ، ساعة تصاعدت في نفسه روح السخرية ، فشاكس رفيق سفره :

ـ نحن الان «اجانب»!

ولم يفهم رفيقه مقصده :

ـ المفروض ان تكون عيونك خضر وشعرك اصفر يا ابن الخائبة مادمت اجنبيا!

وابتسم رفيقه ، مداريا له ليس الا ، اذ كانت نظرات الشرطة وكلابهم البوليسية التي تحوم حولهم وتشمشم حقائبهم ، تجعل من الابتسامة بطرا لا معنى له!

كان صبيا يوم قالت امه لجاراتها :

ـ ولدته بعيون خضر ، لم يكن يعوزه سوى الشعر الاصفر ليكون كالاجانب ، لكن لون عينيه تبدل سريعا! .

حفظ ذلك في ذاكرته ، وطول عمره خشي ان يتحدث به ، فمن سيصدق ذلك ؟ ويوم تحدث بالأمر نفسه احد معارفه ، هم بقول شيء ما ، لكن الكلمات ماتت على شفتيه وهو يرى موجة الضحك والسخرية التي عمت الجالسين وهم يستغربون ما سمعوا . فقط قبل اسابيع ، حين وقع بين يديه مقالا علميا يتحدث عن الاطفال حديثي الولادة ويؤكد : ان النسبة الغالبة من الاطفال يولدون بدون لون محدد لعيونهم ، وفي الاسبوع الاول تبدو عيونهم خضراً او زرقاً او فيما بينهما! ساعتها كم شعر بالاسى لانه لم يصدق امه يوما ، واعتقد انه شيء من مبالغات الامهات ، وكم شعر بالاسى لانه صمت ولم يدعم حديث ذاك المسكين يوم هزأ منه الاخرون! لكن هذا دفعه الى التساؤل باستمرار : كيف سيبدو شكله لو ان اللون الاخضر بقي ملازما لعينيه ؟ كيف ستنسجم عيونه الخضر مع وجهه الاسمر ؟ شيء واحد كان

واثقا منه ان اللون الاخضر لعيونه ربما سيربك ، حيناً ، على العنصريين واعداء الاجانب هنا ، اذ سيحارون في اي خانة يضعونه ؟

اطفأ سيجارته . تطلع الى ساعته اليدوية . لا يزال الوقت مبكرا . لايهمه الان لون عينيه ؛ سوداوان... نرجسيتان... زرقاوان أو خضراوان ، فقط لو يستطيع العودة الى النوم ، لو يستطيع ان يغمض عيونه وان ينام نوما عميقا ، لدهور ، مثل اهل الكهف ، نوما بدون كوابيس!

شمال السويد
صيف ١٩٩٥

# معجزات

... ، لا استطيع ان احدد لك تفاصيل المكان بدقة ، لكني اتذكر جيدا ، ان كل شيء هناك يلفه بياض ناصع ، الجدران ، الابواب ، النوافذ ، الملابس ، والافرشة . كل من حولي يلوح عليهم الاطمئنان والرضا . ووسط الهدوء الشامل كنت اسمع اصوات تسبيح وصلوات ، ومن بعيد تصلني انغام سرية تخترق الجدران والروح . كل هذا مسني بحالة صفاء جعلتني احس أني مقبل على رؤية معجزة ، لذلك كنت أسير بحذر مبهورا بما حولي ، منسجما مع صفائي . فجأة يظهر لي من لا مكان ، وكأننا افترقنا البارحة وبملابسه العادية التي كنت اراه يرتديها بعد العمل . اتذكر جيدا مكان ورشة الاحذية ، حيث كان يعمل ، وفتحة الزقاق المؤدي اليها ، زقاق صغير يتفرع من (ناصر خسرو) لا يمكن الاستدلال عليه بسهولة وسط الزحام الذي يشهده الشارع . كنا تقريبا كل يوم نلتقي في (كوجه مروي) مرة عند «هادي الاخرس» ونشرب شايا عراقيا مهيلا ، مخدرا على الجمر ، او عند «زكي ابو الباچه» ، وفي كل مرة كان يبدو لي برما من حياته في طهران قلقا على مصيره فيها . حين اخبرته مرة بقرب مغادرتي لايران اتذكر كيف فتح عينيه وتوقف الاستكان عند شفتيه وتساءل :

ـ كثيرون يعرفون ذلك ؟

اعتقدت حينها اني فهمت ما كان يقصد :

ـ أنت الثاني بعد ابن عمي الذي دبر كل شيء .

ترك الاستكان فجأة وعانقني وسط استغراب «هادي الاخرس» للدموع في عيني صاحبي ، اراد ان يقبلني ، من اضطرابه قبلني على عنقي بدلا من وجنتي...

ـ أعرف انك تودني وتثق فيّ . لكن ،... لا داع لان يعرف كثيرون ذلك ، فاحرص على هذا .

وسافرت . تركته هناك بين ورشة الاحذية و«كوجه مروي» والاحتراق . يحلم بمعجزة توفر له المبلغ الكافي لمغادرة ايران ، وهاهي معجزة تحصل وأراه امامي ،... ورغم محبتي له ومحبة اهلي بل واعرف ان والدي لم يكن ليعارض لو انه تقدم لخطبة اختي الوسطى ، لو لم تنشب الحرب ونهرب سوية الى ايران رغم كل ذلك سألته وبحسد :

ـ ما الذي جاء بك الى هنا ؟

وببساطة وكأننا نقف عند «هادي الاخرس» :

ـ جئت لأراك .

صحت بفزع :

ـ لكن... ، لكن ابن عمي... كتب لي انهم... ؟

رد وهو يبتسم وكأننا نتحدث عن بنت الجيران التي كنا نتنافس على الفوز بحظوة لديها :

ـ هذا صحيح جدا .

رده جعلني اشعر برجفة في القلب ، اعرف انك قد لاتصدق ما تسمع ، انت حر لكن ذلك ما حصل ، وواصلت معه اسئلتي باللهفة نفسها :

ـ كيف حصل ذلك ؟

وبالبساطة نفسها شبك ذراعه بذراعي مثلما كنا نفعل ايام المدرسة :

ـ تسللت الى كردستان ومن هناك الى ديالى ، اتدري ؟ في كل الاحوال كنت سأموت ، كنت اريد رؤية والدي قبل ان يودع الدنيا ، واخواتي اللاتي كبرن واطفالهن الذين ولدوا بعدي ، ورؤية بيتنا وشجرة السدر ، حديقة الجيران وابنتهم التي تعلقنا بها سوية... اتذكر كيف...

زاد خفقان قلبي ، صدقني ، لم استطع الرد ، لم استطع محاورته ، كيف ارد عليه ؟ ابن عمي من طهران كتب لي مرة ان صاحبي يخطط لزيارة اهله والحصول منهم على مبلغ من المال ليهاجر الى بلد اخر غير ايران ، وصدقت ما كتبه ابن عمي لان صاحبي ذاته كتب الي وطلب معلومات عن طرق السفر فزودته بكل ما اعرف وببعض العناوين وارقام هواتف ، فبماذا تريدني ان ارد عليه وهو يحكي لي عن بنت الجيران ويبتسم بعذوبه ويهمس لي بعد ذلك بحرقة :

ـ كنت واثقا من نفسي اكثر مما يجب واردت ان اقدم خدمة للاخرين ، اقترحت الفكرة على بعض المعارف ، لم يوافقني احد ، ربما تصورني البعض مجنونا ، كنت اهبل حقا اذ وصلت اخباري الى هناك قبل وصولي إلى دار اهلي ، وجرى كل شيء مثلما كتبوا لك .

صعدت المرارة الى حلقي ، لاتبتسم بالله عليك صدقني ، لقد شعرت بذلك ، نعم رغم كل شيء ، ورمقته بحرقة :

ـ لكني كتبت لك ان لا تغامر ؟

رد بود :

ـ تسلمت رسالتك . وكتبت لك الرد . رسالة وداع تركتها في طهران ، فكرت في كل شيء . وبأسوأ الاحتمالات . كتبت عدة رسائل ، واحدة لك ، وطلبت ان ترسل لاصحابها حال ان يحصل لي شيء ما ، أما تسلمتها ؟

اجبته بصدق :

ـ ابدا ، علمت بذلك ، كتبت مرارا لطهران اطالب برسالتك ، بشكل عام نحن ، هنا وعلى مقربة من القطب ، لايثير فينا الدفء سوى رسائل الاحبة و الاهل ، فكيف برسالة منك ، من انسان...

توقفت فجأة عن الكلام ،... كنت في حيرة من امري : كيف يستطيع انسان تعرض للتعذيب ، متهما بالتآمر على نظام الحكم ، ثم اعدم في (ابو غريب)* ان يقوم بزيارتي ؟ لكني تجاهلت ذلك وواصلت...

ـ شخصيا ، اعيش على هاجس واحد ، انتظار رسائل الاهل ، شغلي الشاغل هو ما يحمله لي البريد ، عيناي ابيضتا من قراءة رسائلكم القديمة ، ففي ساعات حزني ، وما اكثرها هنا ، اتخيل وصول رسائل وهمية منكم اتلوها على نفسي بصوت عال ، تحكون لي فيها عن ايام عشناها معا ، عن احداث مرت بنا و... عدم وصول رسائل جديدة يعذبني كثيرا ، يعذبني لحد...

وضاعت مني الكلمة التي اردت قولها ، ادركت اني اطلت عليه الكلام ، ويبدو انه لاحظ ذلك ، عاود الابتسام وقال بثقة :

ـ لا تقلق ستصلك رسالتك بالتأكيد ، في زيارتي القادمه سأحضرها معي وبنفسي...

لم اتمالك نفسي ، صحت به :

ـ لكنك ميت ؟

فتح عينيه على سعتهما :

ـ اذا كنت تحسب ان رؤية الميت تجلب النحس او هي انذار بالموت فأني على استعداد لقطع زياراتي .

---

* أبو غريب ، من أكبر السجون العراقية التي يستخدمها نظام صدام حسين في تغييب وتصفية الآلاف من أبناء الشعب العراقي من معارضيه !

أصابني ذلك بالفزع . فقد برقت في ذهني فكرة ، لاتبتسم ارجوك اعرف انك قادر على قراءة افكاري ولا تظنني سكرت ، فإن عدد الكؤوس التي تجرعتها من هذا السم المقطر ليست كثيرة ، صدق أني أنقل لك كل شيء بأمانة مثلما حصل ، أقول برقت في ذهني فكرة فشددت ذراعه وحدقت الى عينيه الجميلتين ، إن له عينين جميلتين لم تكن أختي الوسطى تخفي إعجابها بهما فكانت تفلت منها عبارات تنم عن ذلك ، كنت لحظتها مستعداً لتقبيلهما رغم الشائع أن ذلك يجلب الفراق ، وقلت له :

ـ مادمت تستطيع زيارتي بهذه السهولة وتستطيع جلب رسائلك من طهران ، هل تستطيع أن تقوم بزيارة أهلي وتجلب لي رسائلهم ، شرط أن لا تزعجهم بأخباري فهم يظنون أني أعيش في النعيم ، دعهم يتصورون الأمر كذلك فما يعانون يكفيهم و...

اتسعت ابتسامته ، تصور ، وتحولت إلى ضحكة خافتة ، كنت أظنه سيسخر مني لكنه فاجأني :

ـ كنت أريد أن أجعل ذلك مفاجأة في زيارتي القادمة ، ولكنك دوماً تستبق الأمور سأجيئك برسائلهم وأيضاً بحفنة من نبق سدرة الجيران التي كنا...

بقية الحديث وما تلاه من عتاب على أمور قديمة ربما لا يهمك سماعه ، لكني واثق أنه سيقوم بمعاودة الزيارة وسأروي لك التفاصيل كلها ، وسأحتفظ لك ببعض النبق ، ولي الآن رجاء واحد أن ترفع هذه التقطيبة عن جبينك وإلا...

سجن بيارنو ـ أستونيا
كانون الأول ١٩٩٤

# «نوستالجيا»

بالرغم من سلاطة لسانه والمآزق التي يزجني فيها دائما ، لا استطيع الاستغناء عن سماع حكاياته التي يبرع في قصها ، ويدهشني كثيرا بقدراته على جمع المعلومات وتقصيها ، الا ان حكايته الاخيرة سببت لي غثيانا ودوارا جعلني اتوقف عند تفاصيل معينة بالذات . واذ انقل لك ما حكاه لي فأني ، ومع محاولتي للحفاظ على جوهر ما رواه ، اجد في نفسي عدم القدرة لرواية كل التفاصيل واستخدام العبارات نفسها . سأضطر لحذف اجزاء معينة واستبدال كلمات باخرى . سانقل لك اولا الحكاية ثم نتناول موضوع الغثيان والدوار . اسمع ما رواه لي :

«... ، ربما لا يناسبه هذا الاسم . قد ترى فيه شيئا من التجني . ليس لي ان اقرر شيئا بهذا الخصوص . لك ان تبحث له عن اسم مناسب . بالنسبة لي ظل هذا الاسم عالقا بذهني من بين كل الاسماء التي عرفته بها . فذات مرة ، في لحظة انشراح وروح الدعابة تطوف في واحدة من الجلسات التي لاتتكرر وضمت العديد من المعارف ، افتقده احدهم فسأل عنه . فاستوضح آخر :

ـ من تقصد ؟

من لامكان اجاب صوت :

ـ السيد نوستالجيا!

كان في الامر شيء من الطرافة ، أثار ابتسامات وضحكات وغمزات . البعض لم يبتسم وحافظ على حياده الدائم حتى في الضحك والابتسام . ورغم ان حضور تلك الامسية البعيدة نسوا هذا الاسم ، وربما الذي اطلقه ايضا ، الا اني صرت في كل مرة اكتشف اشياء جديده تجعلني اتذكر الاسم وازداد تمسكا به ، لذلك سأتحدث لك عنه تحت هذا الاسم ، وكل الذي اتمناه ان ارتب لك حكايتي بشكل مناسب .

مسبقا اود القول ان السيد نوستالجيا لايبدو انسانا فظا ، كما يحاول ان يصوره البعض بدليل أني على تماس معه ، واني اجده على الدوام مهذباً ـ احياناً فوق المعتاد ـ ومرات قليلة سمعته يتحدث بلغة سوقيه او يستخدم كلمات خشنة . ورغم ان البعض يراه ميالا للحديث بلغة فخمة وعبارات وجمل وكلمات ترسم من حوله هالات الفهم والعظمة ، فان كثيرين يجدون لغته شيقة ومفهومة ، مع ان هناك من يسجل عليه انه يقحم في كلامه مفردات مغرقه في محليتها تثير استغراب سامعيه ـ يبدو للبعض انه يبذل جهودا خاصة في البحث عن كلمات منسيه اذ يرصد استخدامه لكلمات وعبارات معينه لفترة محدوده ثم يتناساها لتظهر محلها مفردات جديدة وهكذا ـ . وقدر لي ان التقيه مرارا في اكثر من مكان على مدى الرقعة الجغرافية التي تغربت وترحلت فيها . كلما احزم حقائبي اجده في وداعي . كلما احل في بلاد اجده في استقبالي . بشوشا يستقبلني و بالدمع يودعني . وكلما التقيه لا يعتذر عن تقديم المساعدة . ينقذني من جهلي بتصريف العملة فهو يعرف كل اسرارها ودروبها . يعثر لي على شقة مناسبة وبالسعر المناسب ، فهو يعرف كل الدلالين ومحلات ايجار الشقق وله طرق خاصة ، وايضا يقودك لو

طلبت الى احسن الاطباء وأنسب المطاعم ـ منها التي تقدم اللحم الحلال ـ والى انسب المراقص اذا اردت . ورغم ان البعض يهمس ، ربما بدون وجه حق ، أنه «مثل المنشار ، لايرحم يقطع ذهابا وايابا» فإن الناس لا تستطيع الاستغناء عن خدماته . كل مرة اكتشف فيه شيئا مختلفا . فمرة اجده عازبا واخرى ، متزوجا ـ مرات تكون الزوجة اجنبية وكثيرا ما تكون مجرد عشيقه ـ ومرة اذكر اني قابلته كهلا ينوء بثقل السنين ، لكنه اغلب الاحيان يقابلني شابا تتناثر الحيوية من كلماته وافعاله . وفي كل الاحوال يظل مثلما هو . والدهشة تتعاظم لو زرت بيته ، فهناك تجد كل الامور التي تأسرك وتكشف لك كم هو متميز هذا الانسان . هذه الامور ، التي رصدها كثيرون ، تتناثر في حياة السيد نوستالجيا ، هنا وهناك ، في تفاصيل تجعلك تتوق الى التعرف اليه ومتابعة اخباره . ورغم اختلاف التفاصيل المروية الا ان كثيرين ، اثناء زياراتهم له ، يلاحظون امورا محددة تكرر نفسها كعلامات ثابتة . على سبيل المثال ، تجد خارطة الوطن وصوره معلقة في مكان بارز في حجرة الاستقبال او في الممر ـ مرة قال لاحدهم : إني اضعها في غرفة النوم حتى افتح عيني واغمضها عليها ـ والخرائط مختلفة الحجوم وتخضع للظروف ايضا ، فمرة تكون ملونه او بالابيض والاسود ، باطار او بدونه . ايام الحرب الاولى ـ كان وكيلا لشركة تصدر للوطن نوعا من الخشب يستخدم في تشييد السواتر الامامية ـ كانت خارطة الوطن ملونة وبحجم كبير في اطار من الخشب الصقيل يبعث عطرا خاصا ، همس احدهم : انها جاءته «من هناك» . ولحد الان لم يفهم المقصود . اما حفنة من تراب الوطن فهذا شيء لا يمكن الاستغناء او التنازل عنه . وهو اذ يكون متواضعا يضعها في اناء اعتيادي وينثر فوقها زهورا مجففه يقول انها من حديقة بيتهم في الوطن ـ احد جيرانه همس بان ولده شاهد صاحبنا مرارا يجمع الزهور الجافة من

الحديقة العامه المقابلة لبيتهم ، هذا الامر جعل اخرين يفكرون بحفنة التراب نفسها ـ ومرة حين التقيته يقود (مرسيدس) فهو صاحب مكتب تجاري ويقود سراً شبكة لتهريب ابناء الوطن الى بلاد الشمال عند القطب ، كانت حفنة التراب موضوعة في طاسة نحاسية ، قال عنها انها تعود لجده الكذا ـ لكني سمعت ان زوجته الاجنبية زلّ لسانها مرة وروت كيف انها اشترت الطاسة من سوق دمشقي في احدى سفراتها التجارية ـ واود الاعتراف هنا باني احسده على لسانه الذرب واحاديثه المشوقه التي تجمع حوله المريدين ـ احدهم امتنع عن الجلوس اليه ، وحين سئل عن السبب حوقل وقال بانفعال : «استغفر الله ، هذا يأكل لحم اخيه ميتا »! ـ الا ان البعض يواصل حضور مجلسه ويستمتع بدعاباته وتعليقاته الساخرة التي لايرحم فيها احدا . ومما اثار انتباهي ، تمسكه بالامل العالي بالعودة الى الوطن ، رغم ان اطفاله لايجيدون لغة الوطن ويدرسون في مدارس تعلم بلغات اجنبية فقط . والحق يقال انه تردد كثيرا قبل ان يستحصل جنسية البلاد التي يقيم فيها . رغم ذلك اشاع احد المغرضين ان السيد نوستالجيا لزم البيت اسبوعا من الكمد ولم يتناول اي طعام لان معارفه وصلوا بعده وحصلوا على الجنسية قبله بشهور . ومع ما يتهامس به البعض عن بخله وتندر احدهم علنا بان السيد نوستالجيا دعا سبعة اشخاص على نصف دجاجة ذات مرة ، الا ان ضيوفه يتذكرون جيدا كرمه في اسماعهم اغاني تراثية تعيدهم لايام خوالٍ يجيد صاحبنا الحديث عنها ـ دافع احدهم بحماسة عن السيد نوستالجيا وكشف أنه هو الذي انتزع اعجاب العاملين في «فندق الرئيس» ، وجعلهم يسمون طاولة الروليت «طاولة اللاجئين» فللسيد نوستالجيا ليلة كل شهر يصول ويجول فيها ويرمي بنصف الاعانه الشهرية التي يستلمها من دائرة الشوؤن الاجتماعية هناك ـ ومرة حدثني السيد نوستالجيا ـ قيل انه كتب مقالة عن

ذلك ايضا ـ عن ضرورة النهل من الحضارة الاوربية التي نحتك بها وعلينا ان نتعلم الاشياء الايجابية للتسلح بها عند العودة الى الوطن لبناء حياة جديده ، فرحت احدثه عن تجاربي وبعض مشاكلي وطلبت منه المشورة في قضية خلاف لي مع صديقتي الاوربية ، فانفجر غاضبا حين سمع التفاصيل حتى تصورت انه سيطردني من البيت تقززا من «السلوك الشرقي المتخلف مع فتاة متحضرة» . وبّخني بشكل لم استطع معه رفع عيني عن الارض . اذكر لحظتها كلماته الحكيمة : «عليك ان تفهم نفسك ياعزيزي جيدا ، لاتزال تعيش حالة تناقض في السلوك ، ففي داخلك تفكير اقطاعي تجاه المرأة ، انك تتصورها شيئا قابلا للامتلاك مثل اية قطعة اثاث» . ويومها عجزت عن الرد وغادرت والعار يجللني ـ بعد بضعة اسابيع كشفت لي زوجة صديق عرضا ، أن زوجة السيد نوستالجيا ستكون مضطرة طول الصيف لارتداء ملابس طويله ، ليس طلبا للحشمه ، فهي سيدة محترمه والحق يقال ، بل لاخفاء الكدمات التي خلفتها رفساته على جسدها كله اثر خلاف عائلي ـ والسيد نوستالجيا ، اضافة الى كل ما رويت ، من محبي القراءة ، ومغرم بها الى حد انه يزور هذا وذاك ليتصفح ما يصلهم من صحف ومجلات لاتصل المكتبات العامة ـ أحد الخبثاء ينعت السيد نوستالجيا بأبي العناوين لانه يعتقد بأنه لايهتم الا بالعناوين ـ والحق يقال انه كثير الاستعاره ، مني شخصيا استعار مجموعة كتب اعادها بعد نصف سنة ـ احدهم قرأ ذات الكتب واشاع انه اكتشف ان السيد نوستالجيا لم يتصفح حتى العناوين . لكني اذكر جيدا ان احد الاصدقاء دعاه يوما الى المشاركه في شراء كتاب صدر حديثا لكنه غالي الثمن ، فقال له جادا : «انت بطران ، أليس من الافضل دفع المبلغ نفسه لعمل مباشر من اجل الوطن ؟» . هذا ذكرني ايضا كيف انه ذات مرة وقد انتشى بأغنية تراثيه اشار بيده الى خارطة الوطن ـ كانت بالاسود والابيض ـ

وقال : «هذا المسكين لايمكن انقاذه الا بعمل جذري حقيقي ، الناس في المنفى تعبت من الوعود والسياسات الفارغة ، الناس ستذوب في المجتمعات الغربية ، انها كارثة ، الامر يتطلب عملا حقيقيا لانقاذ ما يمكن انقاذه» . رويت ذلك لصديقي البطران ، وارغمته على مرافقتي وتوجهنا للسيد نوستالجيا ونحن نجمع تبرعات لصندوق ونشاطات جمعية ثقافية . حدثه صديقي هذا بالافكار التي ننوي تنفيذها ، كان المبلغ بسيطا لكن السيد نوستالجيا زم شفتيه وقال : «افكر!» . ونحن نغادر بصق صديقي البطران وقال : «صاحبك هذا... لا يبول على يد مجروح» وحين رحت ابرر وادافع عنه بشكل ما ، اجتاحت صديقي البطران موجة غضب عارمة مفاجئة وكشف لي تفاصيل قضية فاتورتي الهاتف المرقمتين (٠٠٠٣٩ـ٣٥٥٥ـ٠٢٨٧٢٠ـ٩٣٣ـ) و(٣٩٠٠٥ـ٣٥٥٥ـ٠٣٦٧ـ٣٠٩٣٤ـ) واللتين تبلغ قيمتهما (٥٧٧ ، ٣٦٧٨) دولار امريكي بسعر التصريف في تأريخ صدورهما ، وصرخ بوجهي : «اذا رغبت ساواجهك مع السيدة الطيبة ابنة البلد التي رأت في كلامه انسانا متحضرا هاجر من اجل مبادئ ويفهم في الشعر والموسيقى والرسم وفن الثورة ، ناقما حد الخجل على الشرق لتخلفه ، ففتحت له قلبها وبيتها . وبعد ان شبع حل موعد وصول زوجته واطفاله من الوطن وهذا امر اخفاه عنها ، فغادرها بحجة واهية ، تاركا لها غصة وحيرة ، وفاتورتي الهاتف وايضا وهو يغادر صادر وبحمية ثورية مجموعة كتب قيمة من مكتبتها و...» . أوقعني كل ذلك في حيرة وكآبة لايام . رحت اتحاشى اللقاء بالاخرين وافكر بكل ذلك ، احاول ان اجد تبريرا ما ، اخادع نفسي باوهام ، احاول ان اتفهم بعض الحماقات مثل قيام السيد نوستالجيا بسرقة ورق التواليت من المدرسة التي يتعلم فيها اللغة ، او... ، لكن ما حدث اخيرا دفعني انا الاخر للخروج عن طوري وخفت ان ارتكب حماقة ما ، اذ في منتصف الليل رن الهاتف في

شقتي ، كنت وحدي وكان السيد نوستالجيا على الخط ، فوجئت تماما لانه هذه المرة كان يتحدث بصوت غنج . وبعد حديث قصير فهمت كل شيء ، فانفجرت عبر سماعة الهاتف : «يا سيدتي انا رجل مستقر في علاقاتي ، وانت سيدة متزوجة ولك اطفال وزوج محترم ، ما ذنبي انا اذا كان زوجك ليس ابن وطنك ، انه اختيارك ، اتعتقدين ان الاحساس بالوطن يمر عبر جسدي انا و...» . فجأة خطر لي خاطر قلت لها : «يا سيدة نوستالجيا سأحل لك مشكلتك» ، واسرعت لدفتري الصغير ورحت اقرأ لها ارقام هواتف السيد نوستالجيا حيثما كان على الكرة الارضية . تطلب مني ذلك وقتا طويلا ، وكانت السيدة نوستالجيا قد اغلقت الخط بوجهي وتركتني وحدي وسماعة الهاتف . اذكر اني بعد ان انتهيت كنت ارتجف ، كانت خيوط العرق تسيح على ظهري وخاصرتي ، وثمة شيء يضغط على حنجرتي دفعني للركض للحمام و...» .

وهذا ما...!

١٩٩٤ موسكو
١٩٩٦ هلسنكي

# شيكولاته اسكندنافية !

**من الناشر**

من احد المعارف ، ولنسميه هنا بـ : المرسل ، تسلم الكاتب ، مجموعة أوراق ، عبارة عن رسالة شخصية موجهة للمرسل ، وحوت الرسالة في حواشيها ، وبين السطور على الكثير من الشطب ، والاضافات ، بقلم المرسل ، ومرفقة بملاحظات وهوامش ، وطلب المرسل مساعدة الكاتب بنشرها مثلما هي!

في الرسالة ثمة ما يغري بالنشر ، لكن تنفيذ هذه الرغبة المفهومة الدوافع لنا وللكاتب ، ستجعل القارئ يضيع في دوامة من الالغاز والاحاجي ، بسبب عدم وضوح خط الرسالة ، وايضا كثرة الشطب ، وفوضى الهوامش والاسهم ، وعبارات مثل (تجد الهامش ٣ على يسار أعلى الصفحة ٢) ، فقام الكاتب بترتيب الاوراق ، بشكل اعتقده يسهل قراءتها ، وبادر ايضا لاختيار عنوان للنص!

**من المرسل**

ان الرسالة ، التي اضعها بين يديك ، عزيزي القارئ ، كان بودي ان لا أتدخل فيها كثيرا ، ان اتركها مثلما هي ، لكن اسبابا واثق انك تدركها بداهة ، واخرى ستعرفها مع استمرارك في قراءة الرسالة ، هي التي فرضت تدخلي ، لأغير من بعض الاسماء ، والاماكن ، وأحذف بعض التفاصيل ، وأضيف اخرى بديلة ، لا تخل بالسياق . لقد جهدت كثيرا ان احافظ على روح الرسالة مثلما وصلتني ، من هناك ، عبر رحلة دارت فيها على عواصم عديدة ، عربية واوربية ، وهذا يتطلب مني توجيه الشكر الصادق لكل من ساهم بايصال الرسالة! وايضا لكل من ساعد على نشرها!

**الرسالة**

من أين أبدأ معك ؟

من النهاية ؟!

انتظر ، اني هنا ، اتحدث عن شيء اخر ، لا علاقة له بي وبك فقط ، بل بكل هذا الخراب ، الذي يلف حياتنا ، واحلامنا وامانينا ، التي بدأت تتضاءل امام قسوة هذه الحياة فبتنا ندعو أن لا تكون أفضل ، بل أن تكون اقل قسوة! ادرك انك تريد معرفة اشياء كثيرة ، فلا ازال اتذكر التماع عينيك ، ولهفتك الدائمة لمعرفة اشياء كثيرة دفعة واحدة ، لكني اللحظة اسعى للحديث عن موضوع محدد ، وحتى حول هذا الموضوع لا استطيع ان اذكر لك الامور كلها دفعة واحدة ، اني اقول لك الان ، ما كان يقوله ابو هادي حين يحاج آخرين : صبرك علي! ستأتيك الامور تباعا ، مثلما تود!

قبل ان ابدأ برواية نهاية النهاية ، وهو واحد من دوافع الكتابة لك ،

لأحدثك قليلا عن اشياء تتعلق بـ«ابو هادي» . اعرف انك ظللت تتجنبه ، وربما كنت لا تحبه ، وان صرت في الاونة الاخيرة اقل قسوة معه[1] . اذكر انك كنت لا تطيق سماعه ، وان كان الآخرون اعتبروه غريب الاطوار ، فانك اتهمته بافتعال كل شيء من اجل ان يكون في الصدارة . ربما كان يمارس هذا احيانا ، بتأثير عوامل ليست خافية عليك ، لكن الايام اثبتت انه اشرف وانزه من كثيرين كانوا يقطرون كلاما عذبا وتواضعا زائفا . لقد ظل وفيا لألتزاماته العائلية الى النهاية ، وظل في الصدارة ابدا . يكفي ان عدة عوائل هنا تعيش على ما وفره لها ابو هادي بمبادرته بجمع الاعانات ، وحثكم جميعا على مساعدة أهاليكم . ولعلمك فهو من هذا الجانب ، وفي رسائله القليلة ، ظل على الدوام يعتبرك واخوانك مثالا للوفاء لأمكم واختكم ، ولم يذكرك يوما بسوء ، لا انت ولا اخوانك ، وفي الوقت نفسه لم يرحم محسن وابراهيم اولاد ام شوقي[2] ، والجميع يعرف وبشكل جيد انه هو الذي اجبر محسن وابراهيم على المساهمة في دعم اهلهم واقربائهم ، وهو الذي بادر الى

---

(١) ان فوزية غير دقيقة في تصوراتها ، حول ما تسميه هنا ، بعدم المحبة! وحقيقة الامر ، هو اختلافات في وجهات النظر ، تختلط بطبعنا العراقي ، المزاجي ، والحاد في التعامل . إذ ، في تلك السنوات التي صارت بعيدة الان ، كنت وأبو هادي على طرفي نقيض في مواقف عديدة ، ابرزها موقفه من التنظيمات السياسية ، فهو بعد تجربته المرة والمريرة ، في العمل السياسي ، صار ضد الانتماء لاي حزب سياسي والنشاط من خلاله . ولم يكتم وجهات نظره ، التي سببت له حينها ، مشاكل كثيرة مع جهات رسمية وامنية ، كان مخلصا لوجهة نظره بحيث دفع ابناءه للسير في هذا الطريق ، وفي الوقت نفسه كنت من المتحمسين للعمل السياسي من خلال العمل المنظم!

وللامانة يجب الاعتراف باني كنت متطرفا بعض الشيء في تعاملي معه ، وهذا ما تسميه فوزية هنا بالقسوة ، لقد كنا ابناء مرحلة سياسية كانت فيها احزابنا اسيرة تقاليد ، جعلتنا نتحرك مثل خيول السباق ، نردد ما يلقن لنا ، وكان زمن ، كنا نعتبر فيه مراجعنا السياسية اشبه بالالهة ، ولم نكن نلتفت لا يمينا ولا يسارا ، لم نجد الاصغاء للاخرين ، ولم نعرف امكانية الحوار والتعامل مع وجهة نظر الاخر في ظل ثوابت لقنا بها!

(٢) أخت ابو هادي .

أرسال دعم مادي الى الكثيرين ، وهو الذي راح يجمع الادوية والملابس ويرسلها عبر طرق ، الله سبحانه وتعالى[٣] وحده يعرف كم يتعذب من اجل ايجادها رغم كبر سنه وسوء صحته . وحين وصلنا خبر وفاته عم الحزن الجميع ، وان تباينت الاسباب ، فهناك من أحبه لوجه الله وهناك من أحبه لمصلحته ، لكن الجميع ادركوا ان موته ربما سيحرم الكثيرين من الحصول على المساعدات ، التي ربما ستتوقف! ان سناء[٤] مثلا تتخوف من ان عمران ربما لن يسلمها فلسا واحدا بعد الان من المساعدة فيما لو وصلت ، بسبب الخلافات العميقة بينهما ، بينما كان ابو هادي في كل مرة يوصي بعدم نسيان سناء رفقا باطفالها!

مات ابو هادي!

وربما استراح . أعرف انك تعلم بموته . لكني اعرف ايضا أنك لم تحضر مجلس الفاتحة على روحه . قيل انك كنت راقدا في المستشفى ، او ان الخبر وصلك متاخرا . بلغني انك اعتزلت الناس ، واخترت العيش في قرية على مشارف القطب ، وقيل انك ماتزال ترفض الزواج ، وانك اشتغلت

---

(٣) من خلال هذه العبارة وعبارات اخرى حذفتها من الرسالة ، يبدو ان فوزية قد دخلت ضمن « موجة الايمان » التي تسود البلاد ، على اثر الهزائم والحروب والفراغ الفكري الذي تعانيه البلاد ، اثر وحشية الديكتاتورية وانفراد مؤساساتها بالعمل بين الناس . ان الذي يدفعني لهذه الاشارة ، هو ان احد الامور الذي شدني الى شخصية فوزية ، هو كوننا وبشكل مبكر اكتشفنا ميولنا الفكرية التي وحدت مواقفنا وجعلتنا نصطف دائما في مواجهة الاخرين ، واحيانا بشكل متطرف ، خاصة في لقاءات آل دهش التي تحصل في المناسبات والاعياد .

(٤) في تلك الايام التي لن تعود ، لو لم اكن مغرما ، ومشغول القلب ، ولو اردت الزواج من امرأة ، لارسلت اهلي لخطبة هذه الزهرة الريانة ، فانا واثق من كوني سأقع في هواها . معا نشأنا في حارة واحدة ، و ما ان نضجت حتى قطفها كامل ابن عمتي فاطمة من حدائق النزاهة والوفاء ، ولم يهنأ كثيرا معها ، فبعد ولادة بشار طفلهم الاول ، مات كامل في حادث غامض ، اشيع حينها انه ثارات قديمة ، وبعد سنة زوجوا سناء من زامل ، اخ كامل الاصغر ، قالوا ، من اجل الطفل! وجاء الطفل الثاني والثالث ثم لتخطف الحرب زامل ، بعدها رفضت سناء اي زوج ، ولم تعد الى اهلها وبقيت مع اطفالها تعيش مع عمتي فاطمة تسهر عليها .

حينا حطابا ، وانك تقتني كلبا[٥] ، الذي اريده واتمناه ان لايكون عدم حضورك فاتحة ابو هادي يعود للاسباب ذاتها . لا اريد هنا محاكمتك ، ولا ادانتك ، ولا فتح دفاتر احزان قديمة ، فانت حر في حياتك وسلوكك ، ولكن اشياء كثيرة تظل تربطنا ، تسمح لي وتدفعني للكتابة لك ، لانني اشعر بشيء من المسؤلية تجاهك! علي أن ابدد شيئا من سوء الفهم الذي لف اشياء عديدة! .

كان ابو هادي يردد : ان كل شيء في هذه الحياة له معنى! واعتقد ان ما حصل فيما بيننا ايضا له معنى . لم يكن ابو هادي مخطئا معك ، وانا في كل الاحوال لست نادمة على اي شيء فعلته في حياتي ، لا حبك ، ولا زواجي من فارس! لي الان ـ والحمد لله ـ ثلاثة اطفال ، بنتان وولد . صحيح جدا ، ان السنة الاولى من زواجي كانت صعبة ومليئة بكوابيس ، كادت ان تهدم حياتي ، لكن فارس كان ناضجا بما فيه الكفاية ، و بذلت سناء وعواطف[٦] جهودا استثنائية في مساعدتي لتجاوز ذلك ، انا الان سعيدة وقانعة بعائلتي ، واشكر الرب ، مرات ومرات ، انه حفظ لي زوجي وأطفالي خلال محنة حربين ، اكلت من عائلتنا ومدينتنا الكثيرين ممن تعرفهم!

قلت ان دوافعي للكتابة كثيرة ، ربما منها هذا الشعور باني واحد من اسباب عزلتك . عززت هذا الشعور ، وفاة ابي هادي وعدم حضورك مجلس الفاتحة ، فحتى عواطف وسناء ، شاركنني عدم الاقتناع بالاعذار التي سمعنا ، اني هنا لست اتساءل عن سبب تجاهلك لي في رسائلك الى

---

(٥) مرة اخرى تقع لوزية ، في اشكالية عدم دقة المعلومات ، فانا لاعيش في قرية ، وانما اشتغلت لفترة الصيف حطابا في قرية ، وبحكم معيشتي مع شاب من اهل البلاد في بيت واحد ، فقد كان لزاما علي عند سفره ان اقوم برعاية كلبه!

(٦) عواطف : هذه فاتنة اخرى ، مجرد ورود اسمها يجعل قلبي يرتجف ، وعيني تغيمان ، وروحي تطوف في مدارات الشوق والحسرة ، انها اختي!

عواطف ، الذي اريدك ان تدركه ان انسانا مثل ابي هادي لايستحق مثل هذا الموقف[٧] لقد غادر البلاد بعد شهور من مغادرة ابنائه ، لحق بهم الى ايران ، وتنقل معهم ، الى سوريا ، ثم ليبيا ، ثم استقر معهم في السويد ، ويوم مغادرته قالها بصراحة ، وكنت موجودة : انه لايريد الموت كمدا على فراق ابنائه! وكان بهذا يقصد والدكم[٨] . لقد باع كل ما يملكه بثمن التراب ، وتغرب وتبهذل من اجل ابنائه ، توفيت زوجته في ايران ، لكنه ظل يدور مع ابنائه من بلد الى اخر ، حاملا معه مرضه واحزانه وخبرة غنية من ماض سياسي[٩] للتعامل مع الحياة . وان كان قد اعتزل السياسة وترك شرب الخمر بسبب كبر سنه ، لكنه ظل قوي الارادة مؤمنا بمحبة الناس!

واذا كنت قد غادرتنا مبكرا قبل نشوب الحرب ، وابناؤه غادروا هربا من الحرب في سنتها الخامسة ، فان ما جمعكم هو المصير الواحد ، الجميع كنتم مطلوبين للموت ، والجميع تعيشون الان على حافة القطب ، لكن للأسف ماتزالون تعيشون على مفترقات طرق سوء الفهم!

بعد اختفائك ، تقدم لخطبتي كثيرون ، وكنت أرفض وأحتج

---

(٧) يبدو ان فوزية ماتزال اسيرة فهم خاطئ لعلاقتي بابي هادي ، فأنا حقا لم احضر مجلس الفاتحة ، وذلك لاني كنت ارقد في المستشفى ، على مسافة مئات الكيلومترات . ولم اعرف بوفاته الا بعد مغادرتي المستشفى . اتصلت هاتفيا بأبنائه ، تحدثنا طويلا ، وحضرت مجلس الاربعين . وطيلة وجود أبي هادي في السويد ، كنت اهاتفه بين الحين والاخر ونتبادل البطاقات البريدية في المناسبات والاعياد ، ليس لانه زوج خالتي سعدية ، بل لاني احترم تاريخ هذا الرجل واتفهم تجاوزه للتقليدي الذي جلب له تهمة غرابة الاطوار ، ومعجب بشجاعته التي عرضته الى مضايقات كثيرة ، ليس بسبب ابنائه ، فقط ، بل وبسببي وبسبب اخواني ، ويبدو ان فوزية لحد الان لا تدري بان أبا هادي اشترك بفعالية في قضية هروبي واخواني الى الكويت!

(٨) بعد ستة شهور من مغادرتي الوطن في صيف ١٩٧٩ الى الكويت ، التي سبقني اليها اثنان من اخواني ، توفي والدي فجأة ، كان الجميع يقولون ان ذلك حدث بسبب مغادرتنا البلاد ، وادراكه أن غيابنا سيطول!

(٩) في فترة جمهورية عبد الكريم قاسم ، كان ابو هادي نقابيا معروفا ، ورغم انه لم يكن شيوعيا الا انه دخل معهم السجون ، قبل ثورة ١٤ تموز ، وبعد انقلاب شباط الاسود ١٩٦٣!

بالدراسة . بعد اكمالي الدراسة الجامعية ، حصلت على عمل في مدينتنا ، وهذا جلب لي مزيدا من الخطاب . كنت ارفض واصارع لايجاد الحجج لذلك . عواطف تعرف تفاصيل كثيرة ، عن المعاناة ، وليالي الدموع ، وحجم المغريات التي تقدم بها الكثير من الخطاب . استمر رفضي قويا ، طالما كان الجميع لايعرف شيئا عنك ، لكن حين جاءنا الخبر بأنك مع الاكراد(١٠) ، ثم وصلت اشاعات عن جرحك ، وثانية عن اسرك ، ومرة عن مقتلك(١١) ، صار موضوع الاسراع بزواجي هو هم أهلي ، خاصة والدي . صارت حجتي صعبه في الدفاع عن انتظار شخص مجهول المصير . لم يكن امامي اي خيار اخر . كنت مضطرة للزواج! وكان ابو هادى هو الذي وقف الى جانبي ، اقنع والدي بان يترك لي حق الخيار ، وان لا يفرض علي العريس الذي يريد ، صحيح تماما أن أبا هادي هو الذي اقترح فارس ، ليس لانه ابن شريكه في ورشة النجارة ، بل لانه يعرف هذه العائلة جيدا ، وهكذا اشيع ايامها ان أبا هادي زوجني بمن يريد ، واقنعني بالتخلي عنك . انت تعرف من كان يكره أبي هادي ومن لايوافقه على اي شيء يقوم به ، سواء كان غلط او صح(١٢) . اريدك ان تعلم ان قراري بالموافقة على الزواج من فارس ، لم يأت بسهولة ، ولقد باركت موافقتي امك وعواطف(١٣) .

---

(١٠) تقصد فوزية هنا التحاقي بفصائل الانصار في كردستان!

(١١) لقد حصل هذا اللبس مع الكثير من الانصار ، بسبب الاختلاط بين الاسماء الحركية والصحيحة للانصار ، خاصة بين ابناء المدينة الواحدة . فلأخواني في خارج الوطن ولأمي في الداخل ولأكثر من مرة وصلت انباء اصابتي اصابة قاتلة ، ان لم تنعني بعض هذه الاخبار!

(١٢) ان فوزية ، هنا تقصد ، وبدون ادنى شك ، عمران ، ابن عمي شياع ، فالعداء استحكم بينهما بعد ان رفض ابو هادي تزويج ابنته هدى لاخ عمران الاصغر رزاق وزوجها لسعدون ابن اخيه ، وقد ماتت هدى في حادث ولادة وتركت لسعدون طفلة تشبه امها في كل شيء كما كتبت لي عواطف في احدى رسائلها!

(١٣) لا أعتقد ان الامر بهذا الشكل ، فإن امرأة مثل امي لا يمكن الا ان تتمنى الخير لابنة اختها ، اما عواطف فهي صديقة فوزية منذ الصغر وكانت منذ البدء معارضة لعلاقتنا ، محبة بفوزية لانها اعتقدت أني لن اجلب لها سوى العذاب ، مثلما جلب ابو هادي العذاب لام هادي!

الشخص الوحيد الذي عارض هذا الزواج هو عمران ، لم يكن حبا بك ، فانت تعرف مواقفه منك تلك الايام ، لكن كرها بأبي هادي لانه هو الذي رعى هذا الزواج . كان انتظاري لك ، بالنسبة للجميع شيئا بدون معنى ، انه انتظار المجهول . كنت وحيدة في معركتي . الجميع كانوا يريدون الستر لفتاة في عمر الزواج ، يخشى اهلها ان تظل عانسا ، وسأظل طيلة حياتي ممتنة لأبي هادي لانه وقف الى جانبي وساعدني بان اختار بنفسي شريك حياتي!

مات ابو هادي! وحتى بعد موته ، كان حضوره عالي الوقع بيننا . سيظل اسمه حيا للابد ، بين من احبوه ومن كرهوه . كثيرون كانوا على مفترق طرق معه في فهم اشياء عديدة ، لكنه لم يظلم احدا ، لم يتوان عن قول الحقيقة حتى لو أضرت به وبأبنائه . كان معجبا بك ، وان كانت كبرياؤه تمنعه من قول ذلك امامك ، وقبل ان يتقدم لي بعرض الزواج من فارس ، سألني : هل تستطيعين الالتحاق بصاحبك المجنون ؟ قالها بود واضح ومحبة لاغبار عليها . أيضا ، خذ موقفه من عمران ، حين احتاج لشخص يثق بامانته لتوزيع المبالغ والادوية والملابس ، لم يتردد في اختيار عمران رغم كل الذي بينهما!

واود هنا ان انقل لك واقعة حصلت عندنا لها علاقة بابي هادي ، تتعلق بآخر طرد هيأه ابو هادي قبيل وفاته فقام أبناؤه بارساله! ساحاول ان اكشف لك يوم وصول الطرد! يوم نهاية النهاية ، او ربما البداية لاشياء لا يعلمها الا الله وحده!

كان ابو هادى قد اشترط ، دائما ، فتح الطرد بوجود الجميع ، فيكون الجميع شهود عملية التوزيع ، فلاتكون هناك اتهامات ما ، بأن فلان حصل افضل من فلان . المهم لابي هادي باعتقادي ، هو ان يوفر فرصة للقاء

الجميع ، اذ اجزم بانه يفكر في ان اللقاء ، وفي ظل الظروف الصعبة المحيطة بنا ، يساعد على زرع شيء من المحبة والتواد!

اجتمعنا جميعا ، في بيت ام شوقي . كانت الحجة أمام الناس عيد ميلاد ابن ابنتهم يسرى ، كان هناك بيت ابو حازم[١٤] ، بيت مصطفى[١٥] ، عائلة عمران واخوانه رزاق ومهدي وعوائلهم ، حتى نسيبهم زوج اختهم رقية كان موجودا ، وجاء سعدون[١٦] وزوجته البغدادية ، وايضا اخوه صاحبك وضحية مقالبك مرتضى الاثول[١٧] وخطيبته ، وجاءت سناء واطفالها ، وجاءت عواطف مع اطفالها ، ولم تأت امك لانها كانت في النجف لزيارة قبر والدك! باختصار كل آل دهش ونسايبهم ، ما عدا بيت عمي ابوعروبة لان هذا الله منطيه و (كلمة غير واضحة) ، وايضا يستنكف من سماع اسم ابو هادي واسمك وايضا لانه (ثلاث كلمات غير واضحة)!

وصل عمران مع الطرد . كان كارتونا كبيراً ، مغلقاً . ومثلما تعودنا لم يسأل احد كيف وصل الطرد وبأي طريقة ، وهذه كانت من وصايا ابي هادي الدائمة . ووسط الصلوات والترحم على روح ابي هادي ، فتح عمران الطرد . وطارت القمصان والبلوزات وفانيلات الاطفال الملونة ، بين ايدي الجميع . كان لغط وهرج . الجميع ينقبون عن العلامات الجيدة ، والجميع يجربون ، يفحصون القياسات ونوع القماش ، الجميع يصرخون : هذا لي وذاك لابني! باختصار هرجة محترمة ، تذكرني بيوم عرس صبيحة بنت خالنا حسن ،

---

(١٤) ابو حازم هو أخو ابو شوقي!

(١٥) مصطفى هو زوج يسرى ابنة ام شوقي الكبرى!

(١٦) راجع هامش رقم ١٢ .

(١٧) مرتضى هو اخو سعدون الاصغر ، واعرف ماذا تقصد فوزية بكلمة : صاحبك! اذ رغم اني لست الذي اطلق عليه لقب « الاثول » الا ان الجميع ينسبون ذلك لي ، مما سبب لي ايامها الكثير من الاشكالات مع عمران بالذات !

ساعة صارت الهرجة على الباب ، يوم زفتها . كل واحد يريد ان يكون الاول في الصعود الى السيارة . تذكر ماذا فعلت لايقافهم ما عزز وصفك بالمجنون بيننا ؟ كانت بيدك سطلة شربت ، صعدت على طاولة ، وصحت : اذا لم توقفوا التدافع سأصب الشربت على رؤوسكم! يوم وصول طرد ابي هادي الاخير كان مكان سطلة الشربت خاليا! لكن احد الاطفال ، على ما اذكر ابن عمران ، لانه كان الى جانب ابيه هو اول من صاح : ما هذا ؟

ووسط هدوء مفاجئ ، تكرر السؤال ، ثم تنقلت بين الايدي ، واخيرا فتحها مرتضى بعد ان تفحصها . كانت علبة زجاجية ، مضلعة ، بحجم علبة قهوة النسكافة الصغيرة ، بغلاف فضي ، كتب عليها بضع كلمات ، بلغة اجنبية لم يفهمها احد ، وكان هناك اسم ابو هادي ولكن أحد لم يعره اهتماماً إلا بعدما حصل الذي حصل!

ما الذي حصل ؟

الذي حصل لايمكن اختصاره بكلمات ، ولايمكن هنا ان انقل الصورة كاملة ، لقد ذكرت لك كل الاسماء الموجودة ، ومن خلال معرفتك بهم ، حاول ان تتخيل المشهد والتصرفات والتعليقات ، خاصة بعد ان فتح مرتضى العلبة بحذر ، شمها ونظر ما في داخلها ، وقال بثقة :

ـ شيكولاته اسكندنافية!

مد اصبعه ولطع منها قليلا ، اغمض عينيه وأعوج فمه وقال بامتعاض شديد :

ـ استغفر الله ، اعتقد مخلوطة بنوع من الشراب الاسكندنافي ؟

ودارت العلبة على الجميع . على الكبار والصغار . لم يظل شخصا من الموجودين لم يلطع باصبعه ولو قليلا من هذا الشيء الاسكندنافي! ربما بدافع الفضول ، رغم ان الجميع اتفقوا على انها شيكولاته غريبة الشكل

والطعم والرائحة ، فهي غير حلوة و زنخة . سعدون قال : انها مغشوشة او قديمة! ام شوقي صاحت : عوووع كيف ان المرحوم أبا هادي يُخدع بهذه السهولة ؟ وركضت للحمام لتغسل فمها قبل ان تتقيأ . زوج رقية قال : ربما هي وصلت بالغلط مع الطرد ؟ ولقد امتنعت سناء عن تذوقها ، قالت وهي ترى الامتعاض من طعمها على وجوه الجميع : لست مجبرة على ذلك! شخصيا كنت مترددة بين الامتناع والفضول ، لكن الفضول غلبني اخيرا ، كذلك عواطف . اما سعدون فقد قال : ربما هذه شيكولاته للكلاب ، فكلابهم هناك مدللة اكثر من البشر! هذا التعليق قاد الجميع للحديث عن الحياة في اوربا ، وانواع الاكل فيها ، وتحدثوا كثيرا عن انواع الشيكولاته في البلدان الاوربية ، عن تلك الانواع من الشيكولاته التي يكون بداخلها ويسكي ، او انواع من النبيذ ، وثمة من تحدث عن نوع من الشيكولاته يؤكل مع الخبز ، ونوع خاص يتناولونه مع القهوة ، وثمة من قال ان هناك شيكولاته بالبهارات ، باختصار ذلك اليوم استعرض الجميع معلوماتهم عن الشيكولاته . الشيء الطريف ان حصة الاسد من محتويات العلبة صار من نصيب الكبار ، خاصة زوج رقية الذي كرر اللطع لاخر ما تبقى في العلبة وهو يقول : نحن سكان البلدان المتخلفة بعيدون عن معرفة الذوق الاوربي ؟ ، اما الصغار فان بعضهم بصق ما تذوقه وهم يصرخون : ما هذا ؟ ابن اختك صاح : هذا خرا! وقد لطمته عواطف على قفاه! ولم نتمكن من معرفة محتويات العلبة فقط حين اراد الجميع معرفة كيفية توزيع الملابس المرسلة ، اذ قال احدهم : لنقرأ الرسالة! وكان عمران في كل مرة ، يبدأ بالرسالة اولا . يقرأها وحده ثم يريها للجميع ، حتى يتأكدوا انه لم يقم بتغيير الارقام او الاسماء . هذه المرة لشيء له معنى ، لم يتذكر عمران الرسالة ، التي كتبها موسى ، الابن الاوسط لابي هادي الا حين ذكروه بها . في الرسالة اخبر موسى الجميع

وعاهدهم بانه واخوانه سيستمرون على مواصلة ما بدأه والدهم في مساعدة المحتاجين ، وانهم لن ينسوا محنة الجميع بسبب الحصار الاقتصادي ، وانهم سيبذلون كل جهدهم لحث الاخرين على المواصلة في تقديم المساعدات . وحملت الرسالة تفاصيل عن الصعوبات التي واجهتهم أثناء محاولة دفن والدهم في سوريا او في ايران ، وايضا تكاليفها الباهظة . واضطرارهم اخيرا تنفيذ وصية ابيهم الغريبة ، الذي رفض دفنه تحت الثلج ، وطلب منهم ان يكون له قبرا في العراق الى جانب اخوته . وذكر الابن ان تنفيذ هذه الرغبة واجهتها صعوبات كثيرة ، وسببت لهم مشاكل واحراجات غير عادية مع بعض الناس ، وانهم سعوا لتنفيذها بسرية عالية ، لكنهم واكراما لرغبة والدهم ، نفذوها ، وهم يرجون من عمران ان يقوم بهدوء وبدون ضجة ، وبدون حاجة لان يعلم الجميع ، بدفن اصولي ، وفي مقبرة العائلة ، للعلبة الزجاجية المضلعة التي تحوي رماد جثمان والدهم!

هلسنكي
شتاء ١٩٩٧

# ماذا تريد (ساتو) ؟

بدأ الامر مثل مزحة ثم تحول الى شيء جاد ، لذلك لم يفاجأ حين عادت (ساتو) ذلك المساء ومعها صديقتها (ليزا) . قبل اسابيع بدأت ساتو بمشاكسته ، وكعادتها حين ترغب في طلب شيء وتتوقع معارضته ، تتدلع بطريقة أخذتها عن زوجة احد أصحابه ، مستخدمة كلمات عربية تعلمتها منه خلال عام من صداقتهما :

ـ هبيبتي ما يهبني!

ـ ...

ـ تسريحة شعرك تقليدية جدا ، تجعلك تبدو اكبر من سنك .

ذلك المساء وقف طويلا امام المرآة . من اين جاءته هذه الورطة الجديدة ؟ نزوة اخرى لهذه المولهة به بلا حدود ، والتي يسميها احد اصحابه : «الكارثة» ، بينما يشير عليه اخر بالزواج منها :

ـ انها ترعاك مثل...

ـ مثل ماذا ؟

ها هي تفتح له بابا جديدا! طيلة حياته لم يكن شعره وطريقة تصفيفه شيئا يمكن القول انه مشكلة . في سني الثانوية والجامعة ، حين زاد اهتمامه

بالقيافة والهندام ، لم يأخذ منه الاهتمام بشعره وقتا طويلا ، كان على الدوام يلتزم بوصية امه : استخدام الماء الفاتر مع صابون الرقي «أبو الهيل» وتجنب الماء الساخن لتفادي الصلع المبكر .

وكان يصدق وصيتها وهو يرى ضفائرها الطويلة الجميلة تتكوم في حضنها مثل افاعي بستان السادة السوداء التي لاتعضهم ولا تهرب حين كان واقرانه يتسللون الى البستان لسرقة عناقيد الحصرم . في طفولته البعيدة كان ابوه يختار يوما من ايام الصيف ليحول رأسه ورؤوس اخوته الى شيء يشبه بطيخ بستان السادة مستخدما ماكنة حلاقة ورثها عن جده ، يحلق شعورهم من الجذر محركا يده بحذر على مواقع الندب التي خلفتها المعارك مع ابناء الاحياء الاخرى ، مرددا وهو يغالب ابتسامته :

ـ الله أحد ، رأس العباس لا يشبه رأسك!!

ولايام يظل رأسه المفلطح لامعا يغري اترابه باللمس ، واحيانا يسبب له مشاكل مع من يتمادى . وما ان تمر اسابيع حتى تختار امهم ليلة تطلي شعرهم القصير بالحناء ، وتهمس لكل واحد :

ـ هذا يقوي الشعر وينعمه .

حين تقدموا في العمر تخلى ابوهم عن عادته وحل شريف الحلاق محل ماكنة الجد ، لكن امه واصلت بين الحين والاخر وضع الحناء له ولاخوانه . اثناء دراسته الجامعية كانت تستغل زياراته ، ولم يكن يقاوم رغبتها في ذلك لانه كان يرى أي بهجة تتلبسها وهي تراه مستسلما لها مثل طفل ، وتبدأ برواية اشياء عن طفولته ، اشياء تكرر سماعها لكنه كل مرة يجد لها نكهة جديدة ، ويشترك في اللعبة فيقود امه لتروي له كيف كان يقاوم طقس الحناء ثم يستسلم حين تغريه برواية حكايته المفضلة ، حكاية الفقير ذي الاسمال والمدلل أبن الغني اللذين دخلا رهانا لبلوغ هدف في قلب الصحراء في عز

برد كانون ، وكيف ارتدى ابن الغني المترف ملابسه الحرير بينما التف الفقير باسماله الثقيلة من كثرة الرقع ، وفي قلب الصحراء هلك ابن الغني المدلل بينما حمت الاسمال الفقير من الموت بردا ليعود ويفوز بقلب الاميرة ، ثم تعقب ذلك بأحب ما في الحكاية الى قلبه وهو الاغنية ، حيث بصوت شجي وبايقاع مترع بالحزن تلخص له الحكاية :

أجـويـريـد[1] طرك يبس الورگ

أبـو جـرد اجـه المـدلـول غـرگ

ذات يوم سألته زميلة في الجامعة عن الشامبو الذي يغسل به شعره ، فوجئ بالسؤال لان مصروفه الشحيح لايتسع لترف مثل الشامبو . لاشيء غير وصايا امه . يومها كان كمن يحاول كتمان السر الذي يجعل شعره ناعما لماعا ، خاليا من القشرة ذكر لزميلته اسم شامبو معروف وشعر بالغبطة وهو يرى ان وصايا امه نافعة لحد اثارة فضول البنات . وطوال كل هذه السنين ومرارتها ظل شعره الفاحم المسترسل الذي يتركه يطول قليلا بتسريحة واحدة لم تتغير من يوم بدأ بأستخدام المشط . تسريحة بسيطة ينحدر فيها شعره جانبا من اليسار الى اليمين تاركا في الجانب الايسر مفرقا مستقيما ، كان يغالي احيانا في ترتيبه ليبدو وكأنه مرسوم بمسطرة . وهاهي ساتو تفاجئه بضرورة ان يغير تسريحة شعره واقترحت عليه ان يرفع شعر رأسه ويمشطه من الاسفل إلى الاعلى وليس من اليسار الى اليمين كما اعتاد . راح لأيام يحاول ذلك ، يقف امام المرآة وبعناية مثل مراهق يمشط شعره بالشكل الذي اقترحته ساتو ، ولكن ما ان تمر ساعة حتى يعود شعره تلقائيا

---

(١) أجويريد ومثلها « العجوز » تسميات يستخدمها العراقيون للدلالة على فترات محددة من برد الشتاء .

الى وضعه القديم . زار صالون حلاقه واشار على الحلاّقه ان ترتب له شعره بحيث يمكن تصفيفه مثلما ارادت ساتو ، ولكن بعد ايام راح شعره تلقائيا يمتد مثلما كان ، من اليسار الى اليمين . وبسبب محاولاته المتكررة لتمشيطه من الاسفل الى الاعلى صار شعره يبدو منفوشا كمن خرج للتو من عراك ، ضجر من هذا كله فعاد لتسريحة شعره القديمه التي الفها لحد انه لا يستخدم المشط كثيرا ، مجرد ان يمرر اصابعه بين خصلات شعره فتستوي بالشكل الذي يريد . ظن ان الامر انتهى عند هذا الحد لكن ساتو عادت للدلع والهمس :

ـ هبيبتي ما يهبني!

اذعن لها ثانية ، ماذا يضر الانسان لو غيّر تسريحة شعره ؟ في الاقل الامر ليس مثل الذين نزعوا جلودهم وفلسفوا ذلك ، وتمادوا بأن رجموا كل ماضيهم! الامر بالنسبة له لايتعدى حدود تسريحة الشعر وهي مسألة شخصية جدا . من يدري ربما تكون ساتو على حق وتمنحه التسريحة الجديدة وجها جديدا ؟ ايضايق ذلك احد ما ؟!

البارحة هاتفته وطلبت أليه الحضور الى شقتها ، جاء على مضض ، حسب ان ثمة طارئاً ما حصل! مشكلة ما في العمل او عارض صحي لأمها العجوز . حين وصل اخبرته انها غيرت خطتها لن تزور امها وسيقضيان عطلة الاسبوع معا وثمة دعوة لهما لحضور حفلة ما . صباح اليوم التالي ، مثل كل مرة غادرت الى العمل بعد ان تركت له قائمة طويلة بالتوصيات مع ملاحظة انها ستعود ومعها مفاجأة له!! لم تكن المفاجأة سوى ليزا ومعدات عملها . لم تكن ليزا تقبل ان يقال عنها مجرد حلاّقة ، كانت تعتبر نفسها استاذة في مهنتها . حين تعارفا اول مرة قدمتها له ساتو بلقب : «الفنانة»! وهذا كان يرضي غرور ليزا التي بعد شروحات مطولة من ساتو أخضعته لامشاطها

ومقصاتها وراحت تغالي في تحريك اصابعها والدوران حوله ، وبعد ساعة من العمل وباستخدام معاجين مجهولة لديه سمح له بالنظر الى شكله في المرآة ، وفاجاه ما رأى ، انه وجه اخر تماما! ان ليزا حقا لفنانة واستاذة في عملها ، وهذا ما ردده العديد من معارفهما تلك الليلة حين اخذته ساتو الى حفلة زميلتها ودارت به على بعضهم لتقديمه باعتباره شخصاً آخر ، استجاب لمرحها ومزاجها الرائق وساعدها حينا ، وكانت مسرورة بدون حدود وكل مرة تلتفت اليه :

ـ ارأيت كم انا مصيبة ؟ ؟

في داخله كان ثمة شيء من عدم الرضا عن نفسه ومما يفعل يتململ تحت رغبته لأرضائها ، يتذكر اذعانه لرغبات امه فيقسر نفسه ويستجيب لطلبات ساتو التي تكرر باستمرار لحظات ان تداهمها الكآبة :

ـ انت تنام الى جانبي لكني احس روحك بعيدة عني ، بعيدة عن كل شيء حولك!

حاول كثيرا ان يكون قريبا منها ، ان يتفهم حاجاتها لكن خيوطا سرية تمتد داخله تحركها اصابع من خوف وقلق وحنين تشل روحه دائما وبشكل مفاجئ فيجد نفسه محلقا في فضاءات للوجع لا تستطيع ساتو ان تحلق معه خلالها ، تهرب حينا من لقائها ، تأتيه بكل شبابها ومرحها ونزقها وحريتها ، يحاول ان يجاريها لكن ما ان تنفتح داخله فضاءاته السرية حتى ينسحب الى هناك ، فتبدأ اتهاماتها له ببطئ استجاباته لرغباتها ، واذ جاءته بـ «ليزا» ومقاصها قرر ان يستجيب هذه المرة لنزوتها والا صار الامر سببا لتعكير ايام بكاملها وهو المثقل بما يكفي من الهموم . في الايام الاولى لتعارفهما حكى لها شيئا عن همومه ، غربته واسبابها ، خيباته الكثيرة ، احلامه المؤجلة ووطنه المفقود ، ولم يعد الى

تكرار ذلك تاركا لها حرية الاكتشاف ، لكنها لم تفلح في سبر اعماقه رغم محاولاتها الصادقة للاقتراب منه .

بعد يوم من الحفلة غادرها وهي ماتزال سكرى بالانطباعات التي احدثتها تسريحة شعره الجديدة بين اصحابها ، وقبل الذهاب الى شقته هاتف احد اصحابه من ابناء وطنه فطلب منه المرور لدقائق للتباحث حول امر ما . طوال الطريق في الحافلة رحل بعيدا ، بعيدا عن ساتو وخلافاتها مع مديرها في العمل ، واوجاع مفاصل امها ، واحوال كلب ليزا ، رحل بعيدا الى حيث يهفو قلبه كل مرة ، الى هناك حيث وطنه وامه وناسه المحاصرين بالجوع والحروب والموت . ولحد اللحظة التي ضغط فيها جرس باب صاحبه وانفتحت على مهل كان بعيدا... بعيدا! للحظات لم يفهم الذي حصل! حين ضغط جرس الباب كان يتوقع مثل كل مرة ان يُفتح الباب ليندفع نحوه طفل صاحبه . اخبرهم في الهاتف بأنه سيكون عندهم بعد ربع ساعة ، وهذا يعني ان طفل صاحبه الذكي والجميل ينتظره على احر من الجمر ليلعب معه وليستمع الى حكاية جديدة عن مغامرات الفقير ابو جرد وعراكه مع الجني والطنطل ، انفتح الباب ببطء ثم سرعان ما اغلق لحظات وفتح ثانية ليظهر صاحبه وخلفه وجلا يطل الطفل بعينيه الفاحمتين وبفضول ينظر للقادم ، لم يعر اهتماما لصاحبه وشرع ذراعيه وصاح :

ـ من هو الذي يحبني ؟ ؟

اطلق صاحبه ضحكة :

ـ ما الذي عملته بنفسك ؟

داخل البيت راحت زوجة صاحبه تعتذر وتوضح :

ـ حين سمعت جرس الباب قدرنا ان القادم هو انت ، لكني حين فتحت الباب وجدت شخصا اخر لذلك ناديت ابو...

صاحبه وهو يواصل ضحكاته ، اكمل :

ـ اخبرتني ان غريبا يقف عند الباب!

لم يعر اهتماما لكل ما قاله صاحبه وزوجته ، كان مشغولا يراقب الطفل الذي لم يقربه ، وظل بعيدا عنه ، يتخفى خلف والده يراقبه بحذر وهو الذي لا يهدأ لحظة بحضوره . ناداه مرة وثانية ، لم يستجب! فجأة هب واقفا وطلب من زوجة صاحبه ان تعطيه منشفة ودخل الحمام . خلع ملابسه . وقف تحت الدوش طويلا . فرك شعره بقوة مرات ومرات حد الالم ، ثم وجد نفسه يعود صغيرا ، امه تغسل له شعره من الحنة وهو يدور وهي تغني له لتمنعه من الاحتجاج والبكاء ، راح يدور مع نفسه تحت الدوش ، وبشكل متناظر وجد نفسه يخبط بيديه على وركيه ويغني :

وي زخ المطر　　　هفهف الشعر

المدلول غرگ　　　ابو جرد عبر

هلسنكي

آب ١٩٩٥

## إكتشاف

**إلى (تاريا رايسنين)**
**التي تمنت ان أكتب عن الشاعر جبار خضير عباس**
**المولود في السماوة ١٩٥٦**

أخضر...

أحمر...

أصفر...

أخيرا ، بعد عناء رحلة العمر التي طاف فيها بلدانا و بلدانا واستقر ليس بعيدا عن القطب ، تمكن من معرفة مكان موته .

يجهل اليوم والساعة ، فتحديد هذه الامور فوق طاقة البشر... كان جبار يمزح دوما ويقول بأنه يعرف يوم موته :

ـ أسمعوا ، سيكون أحد ايام الاسبوع ، واعرف ان ذلك سيتم في النهار او الليل ، لكني للاسف يا اصدقائي لا استطيع تحديد الساعة .

الساعة... الساعة!!

ـ حين تحين . الساعة ، حين لا ينفع مال و لا بنون .

ـ ماذا سيحدث ؟

ـ ستتوقف الحياة!

ـ والاشياء الناقصة ؟

ـ الاشياء ؟

ـ أعني الاحلام .

ـ ...

ـ عندي اشياء كثيرة مازال احلم بإنجازها ، وأشياء ابتدأت بها ، وأشياء عند المنتصف ، وأشياء ماتزال امامي و...

ـ أسمع...

ـ كل هذا عليَ انجازه قبل مواجهة الموت عند نقطة الاحتمالات .

ـ نقطة الاحتمالات ؟!

كان ذلك طقسا يستحوذ على كل حواسه رغم سنينه المعدودات . كانت امه تنشغل في تهيئة «العطية» . كيس قماش نظيف ، تحشوه بالملابس القديمه ، التي تحرص على غسلها ورتقها لتكون صالحة للاستعمال ، وتولي اهتماما خاصا بملابس الاطفال ، ومعها تضع اكياساً اصغر تملأها بخبز اللحم وخبز السمسم و«الكليجة» . مع خيوط الفجر ، في اول ايام العيد ، يصحو بيتهم على دقات الهاون في الغرفة «البرانية» حيث والدهم يعد القهوة ، ومع شروق الشمس يتوافد الجيران للتهننة ، ويكون واخوته بحلة العيد ينتظرون (ابوالربابة) الذي يطوف بيوت المحلة ليُسمع كل صاحب دار ما يستهويه من مديح . لكن أمهم تظل تنتظر تلك الغجرية ، المثقلة بالوشم والثياب المزركشة ، وعيونها الواسعة التي جعلت جارهم يخرج عن طوره ويصيح ؛ «بويااااا» مما جعل اهل المحلة يسموه «حاج بويااااا» . رغم صغر سنه كان يلمس سعادة امه بقدوم الغجرية ، لكنه لم يكن يفهم السر في تدافع اخوانه الكبار للاقتراب منها وتشمم عطرها والاحتكاك بها أو التحديق الطويل الى صدرها العامر الذي يكاد يندلق من فتحة الثوب! لم يكن يفهم أبتسامة والده المتآمرة مع اخوته الكبار وهو

يبعدهم برفق ، ولا نظرات امه الغاضبة التي توزعها على الجميع أبتداء بوالده... ذات يوم صرخ جبار :

ـ يا ويلي من امك لو تغضب ، الحرس القومي أهون .

لم يكن في ذلك العمر يفهم لهفة امه للقاء الغجرية والاستماع لها وهي تقرأ بخت العائلة . لم يكن يستهويه فيها سوى خشخشة أساورها حين تبرك عند عتبة بابهم وتهز ذراعيها مرات ومرات كأنها تشق أمواج بحر تدفعها نحو الاعماق ، تنثر خصلات شعرها للخلف وتفرد اصابعهاوتحدق بنقطة ما خلف الغيوم . كانت تلك اللحظة تجعله يلتصق بأمه . وحين تتحدث كان صوتها لا يشبه الصوت الذي تشكر به أمه حين تسلمها (عطية العيد) . كان الصوت عميقا ، كأنه يأتي من بعيد ، يجعل اخوته يكتمون ضحكاتهم... فيما بعد ، عرف من امه واخوانه ان الغجرية امسكت به ذات يوم ، حدقت طويلا في عينيه ، ثم دفعته بعيدا عنها ، تلقفته امه بفزع وهي تصرخ :

ـ ماذا ؟

فرد الصوت العميق :

ـ ابنك هذا سيكون لموتته صوتا عاليا ، سيموت عند نقطة الاحتمالات .

ناكده جبار كثيرا :

ـ نقطة الاحتمالات ؟ أسمع... أسمع ، كيف لغجرية ان تملك لغة شعرية بهذا الصفاء ؟

وإذ يراه جبار يشتعل غضبا يهرب من امامه ، قائلاً :

ـ اهدأ ، دعنا نتناقش ، أسمع...

لم يستطع ان يعثر على معادل لما قالته الغجرية عنه . ترددت العبارة أكثر من مرة أمامه ، ولئن نسيها أخرون فأنها علقت بذاكرته مثلها مثل

مناكدات جبار واخيه الاكبر ، ذلك المشاكس الذي جعل اباهم يسقط على قفاه من الضحك وترك لأمهم ان تفك الاشتباك الذي نشب بينهم يوم وقف له عند باب الحمام وصرخ :

ـ أنتبه لنفسك ، ما هذا الضراط ، أنسيت أن لموتك سيكون صوت ؟

وإذ يتجاوز كل هذا ، ويفكر مع نفسه بنقطة الاحتمالات وأين ستكون ، يحس بالعجز عن اكتشافها . هذه النقطة لم تكن في الصحراء بين العراق والكويت يوم عبرها في هجير تموز ورياح السموم تهب دون مقدمات . لم يخش ان يموت في الصحراء ، حتى ساعة نفد الماء وضلا ، هو ودليله ، كانت ميتته في الصحراء باهتة باردة ، ميتة صامتة لن تسمع بها حتى العضايا التي يجدها كل صباح بين طيات ملابسه . ولم تكن نقطة الاحتمالات مكانا بين جبال كردستان رغم ان الموت هناك يأتي بين الاحتمال والاحتمال . ورغم أقتراب وجه الموت منه أكثر من مرة وتحديقهما ، كل الى وجه الاخر الا انه كان يتخطاه مع وعد بتكرار الزيارة . ومع كل قذيفة مدفع كان يرى جبار يهتف به :

ـ أسمع ، ستموت بقذيفة مدفع . اما اين ومتى ، فذلك ليس من اختصاصي ، لكن ستنشب حرب بين دولتنا التي تصبح أشتراكية ودولة رجعية . وحضرتك ستكون جنديا أو قاندا ، سيان ، لأنك ستفطس بقذيفة مكتوب عليها «صنع في أمريقا» بالقاف أخت الطاء .

لم ينتظر الحرب . غادر العراق قبلها بعام ، كان جبار في السجن ولم يتحقق حلمه بدولة اشتراكية . وفي كردستان حين كانت الشظايا تمرق من فوقه ، مخلفة في القلب شيئا من رفيفها ، يتذكر جبار ونبوءاته المعوجة ، وكل مرة حين يدفنون نصيرا كان يودعه :

ـ لن أتأخر عنك .

ولم يلتق بنقطة الاحتمالات . اصيب مرات اصابات طفيفة ، لا يتذكر حتى كيف حدثت اصاباته . كانت تأتي بهدوء غريب ، تسبب له حالات صفاء ذهني عجيب ، بحيث أنه في لحظات يستعيد أشياء منسية ، بعيدة… بعيدة لا يمكن استعادتها بالطلاوة نفسها في الايام العادية . وحين اصيب مرة بجرح بليغ ، تذكر جبارا وأراد ان يصرخ :

ـ جبار ، أسمعني ، ها انك تخطئ مرة أخرى .

كان جبار يناكده وهو يتحاشى ضرباته :

ـ إذا لم تشتعل هذه الحرب ، فأعتقد أنك ستموت بين ذراعي أمرأة ، اما قضية الصوت فلست تحتاج لاكثر من صوت الفضيحة .

غادر جبار بشكل غامض . أُطلق سراحه ، أُرسل لجبهة الحرب ، وبعد أيام أُعيدت جثته وقد ثقبت جمجمته رصاصة من الخلف . كان لموته صوت . صوت الغدر . صوت أبادة شاعر كتب يوما :

أنا الفراشة ـ القديسة
يا وطني
وأنت محرابي ـ اللهب .

ها هو يطوي الشوارع الغريبة . هل مر جبار يوما من هنا قبل ان يجعله الحنين يقطع دراسته ويعود للوطن قانعا بأن يكون مزجج شبابيك ليحقق نبوءته في الاحتراق ؟ كتب له قبيل عودته من براغ :

ـ سأظل أكتب لك حتى لو لم تجب عن رسائلي أيها المجنون .

ها هو كالمجنون يجتاز الساحات بحذر ، يتلفت يسارا ويمينا كمن يبحث عن شيء يفتقده . يأتي من مركز المدينة ، يجتاز المكتبة العامة . يتخذ الجانب الايسر من الطريق ، وأذ يحاذي المدرسة حيث تحاضر (…) .

يحتار بين أن ينعطف يمينا حيث شقته الباردة ليغرق بين اوراقه وكتبه ، أو ينعطف يسارا ليتدفأ بفنجان قهوة وصفاء روح (...) وهي تناكده بما يحلو لها . وإذ ينعطف يسارا ، ينكمش قلبه اذ تواجهه نقطة اشارات المرور الاعقد في المدينة ، حيث تتقاطع عدة شوارع ، ولو كان جبار معه لصاح :

ـ هنا تتجول الاحتمالات بحرية .

عند اشارة المرور يمكن ان يلتقي احبة وقد افترقوا لساعات او لأيام ، وسيكون للقائهم طعم خاص . قد يلتقي شاب حسناء سيدة قلبه ، وكثيرون الذين يكتشفون في انفسهم النبل ليساعدوا مسنا في اجتياز الشارع ، وربما يصيدك شرطي المرور وأنت عجل تتجاهل اللون الاحمر . هنا لكل الاشياء يكون طعم الوان اشارات المرور ، أخضر ، أصفر ، أحمر... لكن منذ أن صار مروره يتكرر عند هذه النقطة حتى تلبسه وجه الغجرية ، وراح يستعيد صوت أساورها وصوتها العميق ، وضحكات اخوانه المكتومه وغمزاتهم ، أبتسامة والده المتآمرة ونظرات أمه الرادعة ، مناكدات جبار ونبوءاته ، وأيضا السؤال الدائم : أين ستكون نقطة الاحتمالات ؟ أخيرا أدرك أنه لا توجد نقطة للاحتمالات مناسبة أكثر من أشارات المرور ، هنا قد يدفعه يوما عنصري تحت عجلات سيارة مسرعة ، أو يتخطى سائق متهور الضوء الاحمر لحظة عبوره ، وقد... ، أدرك اخيرا أنه لن يموت بفضيحة وسيكون جبار مخطئا للمرة الاخيرة ، وأن عجلات السيارة هي التي ستتكفل بمنح موته الصوت المنتظر ، وفي زاوية من صحيفة ما سيكتب أحدهم عنه بإيجاز :

ـ ... ، وقد أمضى زهرة شبابه... وكان...

هلسنكي
١٩٩٦/١١/٢٣

# علاقة

ـ يجب ان تتصل بالشرطة!

لم ينطق بشيء! .

في الضوء الشحيح ، من مصباح النوم الذي اختارته بنفسها ، كان يحدق إلى عينيها المترعتين بالنعاس ، وبدا له لونهما الاخضر كابيا :

ـ هذه المرة الثانية ، وفي مثل هذا الوقت!

راحت اصابعها النحيفة تعبث بخصلات شعرها الذهبية المتناثرة حول وجه لم تفارقه ملامح الطفولة ، رغم ان صاحبته قد تجاوزت الثلاثين :

ـ قل شيئاً!

لم يرد بكلمة ، غادر السرير ، عاد من المطبخ بكأس ماء ، وتهالك على الكرسي الى جانب الهاتف الذي صار هما جديدا الى جانب كوم الهموم التي تتراكم كل يوم على روحه . منذ اسابيع ، بين حين واخر ، وفي اوقات محددة يرن الهاتف ، يرفع السماعة ، لكن لا احد يرد . لاشيء سوى صوت تنفس بالكاد يسمعه . احيانا يكون عميقا كأنه لشخص عاد توا من مشوار جري ، او انجز عملا مرهقا . في البدء تصور انه مجرد خطأ متكرر في الارقام ، اذ حصل له ذلك كذا مرة ، لكن تكرار الامر ، وفي اوقات محددة ،

جعله ينتبه الى ان ثمة من يتقصد ذلك . اخفى الامر عن (...) ، لم يحدثها به ، خطر له ان تكون (ساتو) ، ربما علمت بعلاقته مع... وبدء انتظام زياراتها له ، وتحت تأثير غيرتها ، تسعى لتنغيص ايامه ، تسعى للانتقام بأسلوبها ، فقبل اكثر من ستة شهور ، يوم جلسا في مطبخ شقتها ، ليتحاورا حول مستقبل علاقتهما ، واذ لمست رغبته في أن يكونا مجرد صديقين ، سألته وهي تحدق الى عينيه مباشرة وتدفع بفنجان القهوة بعيدا عنها :

ـ أهناك امرأة اخرى ؟

لم تكن هناك اية امرأة ، حاول ان يوضح لها الامر ، بأنه لا يتعلق بامرأة ، بقدر ما ان علاقتهما قد دخلت طريقا مسدودا :

ـ اذا استمررنا على هذا المنوال يا ساتو سنتحول الى اعداء ، انا لا أريد ان افرط بك!

مع تكرار المكالمات ، وانتظام اوقاتها ، لحظت... ذلك ، وسارعت بأعلان شكوكها ، وحاول ان يسخف الامر ، لكنها صفقت كفيها ببعضهما وقالت :

ـ طيب ، لنفترض انها لم تكن ساتو ، من يمكن أن يكون ؟

ودخل في دوامة الاسئلة ، وبدأت ايامه تضطرب!

حقا ، من يمكن ان يكون هذا الشخص ؟ رجل أم امراة ؟ لماذا يصر على سرقة هدوئه ؟ لماذا هذه الاوقات بالذات ؟ مرتين في اليوم ، بين الثامنة والحادية عشرة مساء ، وبين يوم واخر ؟ اما في عطلة الاسبوع فيكون الامر ثلاث مرات ؟ ووجد نفسه تلقائيا ، وكل يوم ، مشدودا الى الهاتف ، عيناه على عقارب الساعة ، وحين يتأخر رنين الهاتف ، يشعر بشيء ما ، اضطراب خفي ، لايستطيع ان يفهم مصدره . وكل مرة يرفع السماعة ، بهدوء ، وبكل

اللغات التي يعرف ، يرجو من الشخص على الجانب الاخر ، ان يتحدث ، ان يقول شيئا ، وكان صوته يقترب من التوسل أحيانا!

يوما وفي لحظة هياج وقفت له... عند باب المطبخ ، وهي تحك ذراعها الايسر بقوة ، بحيث ان اظفارها التي تعتني بهما كثيرا ، تركت خطوطا وردية بين الزغب الاصفر على ذراعها البضة ، قالت له :

ـ غريب امرك ، لو كانت ساتو ، هل تنتظر ان تسمع منها شيئا ما ؟ وان لم تكن ساتو ، ماذا تنتظر ؟ حالة غريبة!

لم يرد . قابل ساتو مرتين خلال هذه الاسابيع ، افتعل اللقاء الاول قرب مكان عملها ، والثاني كان مصادفة في المكتبة العامة للمدينة ، تبادلا احاديث ودية ، كانت عيناها مترعتين بالحزن لكنها كانت متماسكة ، ولم يلمح او يشم اية علامة لعلاقتها بالمكالمات الهاتفية الغريبة ، اقتنع بهذا تماما ، فخلال فترة عشرتهما لاكثر من عام ، عرف كيف يشم رائحة افعالها . لم تصدقه... ، راحت تعلك شكوكها ، متهمة ساتو بالجنون واياه بانتظار شيء ما منها! كان واثقا انه شخص اخر غير ساتو ، لكن من هو ؟ استبعد ان يكون ذلك عبث اصدقاء ، لقد فعلها احدهم مرة ، كان الهاتف يرن ، ولم يكن احد على الجانب الثاني ، كان يسمع «يانجمة» يصدح بها حسين نعمة بكل دفء الوطن ، ولم يطل صبر الصديق طويلا ، في المرة الثالثة تحدث ، و كل ذلك حصل خلال ساعات من نهار احد العطل ، والان من يملك كل هذا الصبر لمزاح ثقيل كهذا ؟

ـ لم لايكون عنصريا ، كارها لوجود الاجانب ، ومستاءاً من مساهمتك الاخيرة ضد الحركة العنصرية النامية هنا ؟

ـ ربما ، ولكن لم لايكون مريضا نفسيا ، او مجرد شخص يعاني الوحدة أو... ؟

ـ وان لم يكن أيا من كل هذه الاحتمالات ؟!

ويعود لدوامة الاسئلة من بدايتها ، من يكون ياترى ، هذا الذي يصر على تكرار الاتصال وبانتظام ؟

في الايام ، التي يكون فيها وحيدا في شقته ، ومع اقتراب موعد الاتصال ، ينهض ليتخطى ، ويتوقف امام المرآة الكبيرة ، محدقا الى تقاطيع وجهه ، بكفي يديه اللتين تتشابكان رغما عنه ، بعينيه التي بدأت التجاعيد تكثر حولهما ، وبدأ يعجب من نفسه للاضطراب الذي يصيبه ، ويكاد احيانا ينخرط في ضحك مفاجئ . يحاول ان يعزي نفسه ، بانها لو كانت حقا ساتو ، فهو لايرغب في اية فضائح ، لا لها ولا لنفسه ، لذلك لم يفكر في اللجوء الى الشرطة . الشرطة التي لايحب ان يتعامل معها ، اذ ظلت بالنسبة له دائما : شرطةً مهما قيل عنها في هذه البلاد . حتى يوم راح يضايقه حليق الشعر ، ذاك النحيف المضحك بساقيه الطويلتين ، وصار يتعمد ازعاجه بدراجته الهوائية ، حين يصادفه عند عودته من العمل متعبا ، او يكون عائدا من مشوار تبضع في مركز المدينة ، لم يحاول ان يشكوه الى الشرطة ، لم يستجب لطلب ساتو يومها ، بل لجأ الى صديق له من اهل البلاد ، توجها الى المقهى التي يرتادها الشاب وشاركاه فنجان قهوة ، وجعلاه يغط بعرقه ، بعدها ، يوم شارك في مهرجان المدينة ، ليتحدث عن بلاده البعيدة المحاصرة بالجوع والموت والخوف ، وناسها الراغبين في حياة حرة كريمة ، كان ذاك النحيف وسط المستمعين يصفق له . لم يفكر باللجوء الى الشرطة ، لقد تمنى ان يتعب هذا اللحوح ، ان يمل من لعبته الغريبة ، وان يتكلم ، ليعرف من هو ، ربما يستطيع مساعدته ، ولذلك واصل الرد بهدوء ، وبعبارات لطيفة ، كانت تثير... كثيرا وتجعلها تحك ذراعها بالحاح وتطلق تعليقات لاذعة . يوما ، وهما يتجولان على مقربة من بيتها وحين حاول

العودة الى شقته ، لاحظت انه يحرص ان يكون هناك كي لا تفوته المكالمة ، فصاحت بغضب :

ـ امرك غريب ، انت لست بحاجة لمساعدة الشرطة ، انت بحاجة الى طبيب نفساني!

لم يرد . لم يستجب لتجريحها ، كان يشعر انها ماتزال تعتقد ان ساتو على الخط ، وتتصرف تحت شعور الغيرة من الاخرى :

ـ ماذا تحاول ان تقول بهذا ، هل انت مسيح جديد ، ماذا تريد ؟

لم يكن يريد ان تتوقف المكالمات هكذا ، دون ان يعرف من هو الشخص الذي يقف خلفها . ناقش مع... كل الاحتمالات ، واخبرها ان الاحتمال الوحيد الذي سيجعله يلجأ الى الشرطة ، هو ان يكونوا هم على الخط :

ـ لو كانوا هم ، فماذا يريدون منك بالتحديد ؟

غادر وطنه هربا منهم ، من وجوهم المكفهرة بالحقد لانه لم يصفق لاكاذيبهم وكابوس العذاب والموت الذي نصبوه للوطن . غادر وطنه مجبرا ، مكسور القلب ، تاركا احلاما وبذور أمل بدأت تنموفي حياته ، تاركا أما لم يترك لها سوى الدموع ودعوات الصبر ، غادر ليتشرد ويجوع ويبرد ، ويدور بلادا لم يخطر له يوما ان يصلها ولو سياحة ، باحثا عن سقف آمن قبل ان يصل الى هذه البلاد ، عند القطب!

ـ يجب ان تتصل بالشرطة هذه المرة!

غادرت... السرير ، القت نظرة على الهاتف الصامت ، جلست اولا على ذراع الكرسي ، اخذت منه كأس الماء وعبت مافيه دفعة واحدة ، ثم تهاوت الى جانبه واحتضنته بذراعيها ، ودفنت وجهها في صدره :

ـ أسمع ، انا خائفة ، هذه المكالمات بدأت تصل بعد منتصف الليل ،

ثمة تطور في نشاط صاحبك أو... صاحبتك ، انا اعتقد ان الامر اكثر جدية مما نظن!

ـ ياعزيزتي ، لا داعي للخوف ، حتى لو كانوا هم فلن...

ـ انسيت الاغتيالات في دول مختلفة التي نشرت الصحف اخبارها ؟ أبن بلدك الذي وجدوه قطعا من بعد ذوبان الثلج ؟ انسيت ما أخبرتني عن المشبوهين ممن يتجولون بحرية في بلادنا ، ويدعون معارضة دكتاتور بلادك ؟ و ذاك صاحب المطعم باموال السفارة وعن...

ـ لن يستطيعوا ان يقتلونا بالهاتف ، لايشط بك الخيال انه ليس فيلماً من افلام الخيال العلمي ؟

ـ لكنهم يمكن ان يحولوا حياتك الى جحيم ، لن يدعوك تشعر بالامان ؟

في اليوم التالي جرجرته... الى مركز الشرطة ، كان الضابط ، متفهما للامر ، استمع لروايته وشهادة... طويلا ، وجّه لهما بعض الاسئلة ، قبل ان يسأله :

ـ هل تريد محاكمة الذي يقف خلف المكالمات ؟

وهزت... رأسها بالايجاب بقوة ، لكنه سارع الى الاجابة :

ـ فقط في حالة لو كان الشخص على علاقة بحكومة بلادي ، او عضو في حركة عنصرية ، ولكني في كل الاحوال اريد معرفة الشخص والدوافع!

اعطاهما الضابط العديد من الاستمارات ، وكان هناك العشرات من الاسئلة التي لاعلاقة لها بالقضية ، اثارت... وجعلتها تقول له :

ـ ربما انت محق في موقفك من الشرطة ؟

وكأن صاحب المكالمات عرف بلجوئه الى الشرطة ، توقفت المكالمات فجأة مثلما بدأت ، ورغم ذلك وجد نفسه يستمر في انتظاره للمكالمات

ومشدودا في الاوقات المعتادة الى جانب الهاتف ، وفي داخله شعور بالقلق . لم يراوده الاحساس بان يكونوا هم خلف المكالمات ، فاساليبهم مفاجئة وبدون تمهيد ، ويعملون بذكاء وحذر ، ولا يمكن لهم ان يتصرفوا بحمق وعبث . كان ثمة احساس بالذنب يتملكه لانه لم يستطع بنفسه معرفة صاحب المكالمات الغريبة والتحدث معه مباشرة ، ثمة احساس يتملكه بأنه هناك في مكان ما شخص بحاجة الى المساعدة ، شخص وحيد ، مريض ، محبط ، غريب...!

بعد مضي اسبوع تقريبا ، استدعاه الضابط الى مركز الشرطة ، فاصطحب... معه ، وكان الضابط مسرورا لنتائج عمله وهو يكشف له الحقيقة : ان ثمة عاشقا مسكينا ، تخلت عنه حبيبته واوهمته بانها على علاقة باحد الاجانب ، وبطرق مختلفة ، حصل العاشق المغدور على ارقام هواتف بعض الاجانب في المدينة ، وانتقاما لنفسه ، راح يمارس لعبته بالهاتف معهم ، حتى اكتشف ان حبيبته قد خدعته ، وان حبيبها الجديد ليس اجنبيا فتوقف عن لعبته!

طلبت... من الضابط ان يدعهما ينفردا قليلا ليتشاورا حول الموضوع ، وفي الممر ، احتضنت كفه بين كفيها :

- ارجوك عدم التنازل عن القضية ، أمضي بها الى النهاية!

- ضد عاشق جعلته الغيرة يتصرف بشكل احمق ؟!

- انه مريض!

- نحن المرضى ان كنا لانفهم مشاعر الاخرين!

- حتى لو سلبنا الراحة ؟

- حتى لو سلبنا اكثر من ذلك!

- انك حقا غريب!

ـ انتم الاغرب ، كل شيء متوفر لديكم لكن تنقصكم الـ...

وناداه الضابط ، دخل ، وقع اوراق التنازل عن الشكوى ، شكر الضابط وغادر الغرفة ليجد... في مكانها تستند الى الجدار تنهش ذراعها الايسر ، وعيناها مترعتان بالدمع :

ـ كفي عن هذا ، الليلة يمكن ان ننام مبكرا وعميقا!

هلسنكي
١٩٩٧/٥/٢٢

# ذات مساء

لم يلحق بقطار الساعة السابعة وخمس دقائق ، فكان عليه انتظار القطار التالي . دخل بناية المحطة . تجول لا على التعيين بين ممراتها الطويلة المتقاطعة والمزدحمة دائما . مثل كل مرة حدق الى سقف البناية العالي والمزين بنقوش تعيد لذاكرته صورة غائمة لمبنى شاهده يوما في مكان ما من وطنه البعيد . عبثا يعتصر ذاكرته : أين شاهد المبنى الذي يحمل نقوشا تذكره بها هذه النقوش ، التي تعلو بناية على مقربة من القطب وتكاد ان تكون مفتاحا لحياة العاصمة ؟ دار بين الاكشاك الصغيرة المتناثرة على جانبي الممرات . اشترى صحيفة استرعاه فيها عنوان لتقرير عن الاوضاع في بلاده . ماذا سيجد غير اخبار الحروب والجوع والموت ؟ واصل تجواله ، متحاشيا الاقتراب من مقهى المحطة الذي يتردد عليه الاجانب ، أذ بعد سلسلة من المشاجرات الدموية صار مصدرا للاشاعات والاخبار في نشاطات العنصريين! الناس يتحركون مسرعين مثقلين بحقائبهم واكياسهم ، عيونهم شاخصة الى شاشات مواعيد القطارات المنتشرة في كل زوايا مبنى المحطة . عشرون دقيقة ويتوقف قطار الضواحي عند نقطة الانطلاق . دار قليلا باتجاه محل بيع الزهور . تخطى عند زاوية الممر المؤدي الى الساحة الرئيسة للحافلات والملاصقة لمبنى المحطة ، مكانه المفضل للقاء

معارفه . توقف متطلعا في غابة الورد ، ملاحظا انعكاس وجهه على الواجهة الزجاجية . عند محل الزهور وفي كل زوايا المحطة يقف كثيرون ، رجالا ونساء ، في الانتظار وعيونهم شاخصة تدور باتجاه مداخل الممرات . العشاق يمكن تميزهم بسهولة من ألق العيون وحركات الاصابع المضطربة!

فجأة من الباب المؤدي الى ساحة الحافلات لمحه يدخل بفوضى ، دافعا الباب بغضب ، توقف على خطوات منه ، لكنه لم يلحظه . هاله منظره : منفوش الشعر ، بعينين منتفختين ، وشفتين مرتجفتين ، قميصه المتسخ تهدل عند فتحة الصدر ، يحمل بيده كيساً بلاستيكياً اصفر ، وباليد الثانية سيجارته المشتعلة ، تفحص المكان بدقة للحظات ثم مثلما دخل عاد من حيث أتى! قرر الابتعاد عن المكان ، فسار باتجاه الطرف الثاني من الممر ، مستعيدا لقاءه الاول معه . في الايام الاولى لاقامته في البلد ، ذات مساء ، يوم قاده احد المعارف الى مقهى المحطة ، كان وصاحبه يخوضان في شؤونهما ، حين بدأت الضحكات وصخب اصوات تتقاطع تصل من الطاولة المقابلة وبعدة لهجات عربية ، من بين كل الاصوات ميز صوتاً واضحاً المقاطع بلهجة بلاده الجنوبية يعلو كل الاصوات :

ـ ... ، وأبول على بلد رجاله في الساونا العامة ينظرون الى قضيبي ليدققوا حجمه لاعتقادهم انه السبب الوحيد الذي من اجله تزوجتني ابنة بلدهم!

تعالت ضحكات وتقاطعت اصوات ، دار بنظراته بين الوجوه الغارقة بدخان السجائر ، كان ابن بلده يجلس في طرف الطاولة ، تملى الوجه الذي لوحته الشمس بعينيه الواسعتين واستدارتهما وطيف المكر الذي يتطاير منهما ، لفت انتباهه اثر جرح يمتد واضحا من تحت أذنه اليمنى ويتلوى كأفعى رمادية على عنقه ويضيع تحت ثيابه ، بعد لحظات قال احد الجالسين بوضوح وبلغة عربية فصحى :

ـ لكن لا تنس يا أخي ان هذا البلد منحنا الامان وآوانا من حروب هربنا منها ؟
ـ أنا لا أنسى هذا ، لست جاحدا ذلك ، لكن هذا لايعني ان اتحول هنا الى...
وضاعت كلماته وسط الضجيج ، ولكنها سرعان ما عادت اكثر وضوحا :
ـ ... ، انظر انا صاحب شهادة ، واعرف لغة البلاد واللغة الانكليزية احسن من رئيس وزرائهم لكن باب العمل مفتوح امامي للعمل فقط في المطاعم و تنظيف دورات المياه و...

بعد ذلك المساء صادفه مرارا عند باب المقهى ذاته ، وفي اماكن اخرى ، لكن كثيرا ما كان يصادفه في قطار الضواحي . كان يترك القطار قبله بمحطتين ، ومرارا شاهده بصحبة سيدة شقراء من اهل البلد وبمعيتهم طفلتين جميلتين ، همس لهما مرة بشيء ما فضجتا بالضحك . طيلة هذه الفترة لم يتعارفا ، لم يتبادلا حديثا مباشرا وان تبادلا احيانا التحيات الروتينية . لسبب ما ظل بعيدا عنه ، بل وصار يتحاشاه من يوم ان تصاعد الصياح من زاوية مقهى المحطة ، حيث طاولة القمار ثم رأى عمال المقهى يحاولون طرده خارجا وقد نفرت الافعى من تحت ياقة قميصه المفتوحة ، كان ثملا ويصرخ : يجب ان استعيد المبلغ! يومها قرر الابتعاد عن المقهى كله ، وصار يتحاشى حتى المرور من امام بابه!

مضى باتجاه قطاره . في اول عربة رمى نفسه في مقعد فارغ متعبا ، حرجا من روائح البصل والثوم التي يعتقد انها تفوح من ملابسه رغم الكولونيا الرخيصة التي يرش بها نفسه قبل مغادرة المطعم . فرك عينيه مثقلا بالاسى للحيف الذي يلف روحه من الاستغلال الذي يعانيه على يد صاحب المطعم الذي يستغل حاجته واضطراره للعمل عنده ، فهناك في بلده واماكن اخرى يعتقدون ان كل من يعيش في اوربا يملك مفتاح السعادة والثروة ، وان الاف الدولارات تمطر عليه كل يوم ، غير مدركين صعوبة الحصول على عمل ثابت في هذه البلدان ، وقسوة العيش بدون عمل ثابت ، وان المعونة الاجتماعية للعاطلين لا تكاد تكفي سدّ

الاحتياجات الضرورية ، فكيف بالالتزام بمساعدة الاهل الواجبة وقائمة الهاتف ؟ وان التفكير بزيارة المسرح او شراء كتاب او دعوة صديق تتبعها اياما من التقشف والصوم الاجباري! وهاهو يجد نفسه مضطرا للعمل في غسل الصحون ، من أجل توفير مبلغ يتيح له السفر لاسابيع ليشم هواء آخر ويستمتع بشمس يفتقدها ، ويلتقي صديق صبا نجح في الخلاص من السجن الكبير بوصوله الى بلد عربي ، صديق انقطعت اخباره وحسبه ضمن الاصدقاء الذين التهمتهم الحروب او السجون ليتركوه بلا شواهد على ماض تثلم وصار بعيدا!

من نافذة عربة القطار رآه فجأة ، على مبعدة عدة امتار ، على الرصيف المقابل ، الى جانب القطار . كان كتفاه يهتزان ، طوح بذراعه ، ضرب بها جبينه ، منحنيا قليلا نحو اليسار كمن يشعر بوجع في خاصرته ، واذ انحنى تلونت الافعى وبدت كأنها توشك ان تفر من تحت ياقة قميصه . الى جانبه وقفت السيدة الشقراء ذاتها ومن ذراعها تدلى الكيس البلاستيكي الاصفر . تحت الاضوية الساطعة كان وجه السيدة الشقراء واضح التقاطيع ، جامدا بدون تعبير محدد ، تستمع له بأهتمام وتراقب الطفلتين اللتين تلهوان ليس بعيدا عنهما . كان يسكت حين تقترب الطفلتين ويمسح شفتيه بكف مرتعش ، كانت السيدة خلال تلك اللحظات تنظر الى ساعتها في معصمها . اقترب من السيدة وقال لها شيئا ما ، فتغيرت ملامحها تماما ، قالت شيئا بفم يرتعش ورفعت يدها بوجهه وحركت اصبعها باشارة تحذير ، ثم نظرت الى معصمها بعصبية ، وتحركت باتجاه الطفلتين . اعترضها ممسكا بزندها ، دفعته بقوة ، وقالت شيئا بصوت عال التفت على اثره العديد من المارة ، و يبدو انه لم يتوقع ذلك منها ، اذ تراجع للخلف ، فقد توازنه وسقط على قفاه على الارض ، لم تتركه السيدة ، اذ اقتربت منه وقالت له شيئا وكررت حركة اصابعها المرتجفة ، ثم رمت اليه بالكيس البلاستكي الاصفر ، توجهت الى

الطفلتين اللتين وقفتا واجمتين ، قالت لهما شيئا وغادرت المكان والطفلتان تركضان امامها!

ظل لحظاتٍ جالسا في مكانه على الارض ، ادار بصره ذاهلا ونظر الى نوافذ القطار ، ثم نهض بتثاقل ، سوّى ملابسه ، نفضها من شيء علق بها ، للحظات ظل يحدق الى الاتجاه الذي غادرت منه السيدة الشقراء والطفلتان ، القى نظره على الكيس البلاستيكي الاصفر المرمي على الارض ، ثم ركله بقدمه بقوة فتناثرت منه فواكه وحلويات ودمى اطفال!

من مكانه في العربة رأى كل شيء . رأى كيف تابع الركاب المشهد . العجوز التي تجلس قبالته لم تكف عن الهمس والضغط على ذراع الشابة الجالسة الى جانبها التي لم تحفل بالمشهد كثيرا . راقبه كيف نهض ، كيف تابع بنظراته السيدة الشقراء والطفلتين ، كيف سوى ياقة قميصه فاختفى ذيل الافعى ، ورآه كيف استند على باب عربة القطار بتثاقل ثم دفع باب العربة وتهالك على اقرب مقعد الى الباب . لم يكن يفصله عنه سوى مقعدين ، حاول الاحتماء بالصحيفة حتى لا يلمحه ، حتى لا تلتقي نظراتهما . رآه كيف يتململ في مكانه ، صامتا مثل تمثال سومري ، فم مزموم وانف يرتعش ، وعينين متعبتين غير عابئ بالنظرات التي تحيطه من الجوانب . رأى كيف راحت اصابعه المرتعشة تسوي ياقة قميصه ، ثم ارتفعت ليضغط بها صدغه بقوة ، وانزلهما لتستقرا في حضنه ، ثم رأى كيف ان صدره راح يعلو ويهبط سريعا ، ثم كيف احتقنت الافعى ، وبرز رأسها واضحا عند جذر أذنه اليمنى ، ثم فجأة وضع رأسه بين يديه وراحت كتفاه تختضان بشدة بينما صوت أنين مكتوم أشبه بالعواء انتقل في كل عربة القطار!

هلسنكي
آذار ١٩٩٧

# طائر الدهشة

انت تتذكر كل شيء جيدا ، لا تتغافل!

تتذكر كل شيء وكأنه حدث البارحة ، رغم أن شهورا طويلة مرت على ذلك اليوم!

كل شيء مرسوم ومنقوش في ذاكرتك بدقة ـ كل شيء! ـ لدرجة انك تتحسس الالوان ، الكلمات ، الروائح ، الارقام و...! يومها ، صباحا كنت مع نفسك ـ على الورق ـ تمارس لعبة ولدت فجأة مثل الكثير من افعالك التي تجعلك أحيانا تبدو غريب الاطوار امام الاخرين . سجلت عدة كلمات لا على التعيين ورحت تضع علامات امامها ، ثم شطبت كل الكلمات ما عدا كلمتي «الذاكرة» و«المستقبل» ـ لم يرد في ذهنك ساعتها أن تتساءل : لماذا ؟ ـ رحت على الورق تتلاعب بالكلمتين ـ كان بالحقيقة مغلفا أسمر قديما حمل لك حينها اشعارا بعدم اجتيازك الاختبار للوظيفة التي رغبت لعدم توفر بعض الشروط المطلوبة والتي كنت تعتقد انه كان يمكن التغاضي عنها لو ارادوا مساعدتك ـ ورغم انك ميال لاستخدام اقلام الحبر الجاف ، كان القلم يومها ، قلم رسم خشبي بلون اخضر! «ـ أهي مجرد مصادفة ؟» تساءلت لحظتها! ـ وقضيت وقتا تحدق الى الكلمات

الخضر ، تتلوها لنفسك بصوت عال ، كتبت! وما كتبت يومها كان :

المستقبل !!
الذاكرة !!
ذاكرة المستقبل !!
ذاكرة للمستقبل !!
مستقبل الذاكرة !!
مستقبل في الذاكرة !!
مستقبل للذاكرة !!
ذاكرة بلا مستقبل !!
ذاكرة في المستـ ...
...

مزقت المغلف فجأة ، مثلما مزقت العشرات ، بل وربما المئات من الاوراق قبله ، كدت ان تنخرط في البكاء ، لكنك عالجت ذلك بدوش دافئ وفنجان قهوة ساخن وموسيقى «بابليات» لكوكب حمزة!!

كل هذا حدث صباحا ، في شقتك الصغيرة ، في ضواحي العاصمة!

اللقاء المفاجئ حدث مساء ، انت تتذكر كل شيء جيدا!

كنت عائدا الى مسكنك ، في قطار الضواحي ـ قطار الساعة السابعة وخمس دقائق ـ انت دائما تسعى للعودة مبكرا ، وتبرع امام معارفك ، بايجاد اعذار للانصراف المبكر ، ذلك اليوم لم تتعب نفسك بالقول ان هناك من سيهاتفك ، لأنه لم يكن ثمة احد لتعتذر منه!

كان نهارا شاقا من التسكع في شوارع العاصمة ، ففي منتصف النهار

كنت على موعد مع احد معارفك ، وكعادته اخلف الموعد ، وتساءلت : أيعقل هذا ، ان يقيم انسان سنين طويلة في بلاد تسير الحياة فيها مع عقارب الثواني ولا يتعلم احترام الزمن ؟ أيمكن لهذا ان يكون في بلد يتعامل فيه الانسان مع الارقام بقدسية مفرطة ؟ ليس مع الزمن وحده ، بل كل شيء يتحرك وفق سحر منظومة دقيقة من الارقام ؟ ودفعك هذا لأن تذكر نفسك بأن الانسان نفسه صار عبارة عن رقم في سجلات الدولة ، الانسان بكل كبريائه وعجرفته وجبروته وفوضاه وجماله ، يقف امام موظف شبه نائم ، يقوم بعمله باتقان بشكل ألي ودقيق ، يسأله عن رقمه الخاص ، يضغط ازرارا معينة ، لتظهر على شاشة الكومبيوتر كل المعلومات المطلوبة ، حتى تأريخ اخر حقنة شرجية لعلاج امساك شديد يعتقد الطبيب الخاص انه نتيجة لحالة كآبة!

اضطررت لقتل الوقت بالدوران وحدك في شوارع مدينة غريبة اخرى ، ضاع عليك تسلسلها في عدد المدن الغريبة التي مرت بك او مررت بها . لم تصبك ـ تلك! ـ الدهشة التي كانت ترتسم على محياك وافعالك في سنين الغربة الاولى لمشاهدة مدن جديدة ، وجوه جديدة . صار الامر لك سيان : بلد جديد ، مدن جديدة ، لغة جديدة ، كلها تعني عذابات جديدة!

أخلف ابن بلدك موعده معك ، وعدك بصحف كنت تطمح ان تجد فيها سلوى في وحدتك في مسكنك في الضواحي . عدم احترامه الموعد ، اثار غضبك ، فرحت تشتم ما خطر ببالك ، وكدت ان تطلق واحدة من صرخاتك التي سمعها منك اصحاب ماض لن يعود : الديكة التي لا تصيح صباحا تتحول مساءً الى فسنجون*! ورحت ـ وحدك ـ تتهجى اسماء الشوارع ، علّك

---

* الفسنجون : اكلة عراقية تطبخ من الدجاج وشراب الرمان !

تستدل على متحف أو معرض لم تزره بعد ، تبحث في الوجوه الغريبة عن وجه اليف ربما يرد عنك شيئا من الوحشة . سرت في شوارع مزدحمة واخرى فارغة ، تتطلع الى خيالك على واجهات المحلات الانيقة ، وتنظر بشفقة لوجهك الشاحب في مرايا الفنادق ودورات المياه العامة . طوال النهار تسكعت تخدع نفسك بأنك تتلمس تأريخ المدينة ، لكنك كنت تبحث عن إنسان ما تتحدث إليه ، عله ينزل بك من سماء الوحشة الى ارض الالفة ، يمس جدب روحك بشيء من الطراوة لتتلمس خضرة الاشياء ، علّ شيئا من الدهشة يوخز مساماتك ، فتستيقظ فيك احلام نامت تحت ركام من وجع! لم تهاتف اي من معارفك ، تركت الامر للمصادفة ، لكن طوال النهار لم يرفع احدهم يده ليحييك ، وكم كان منظرك مضحكا ـ ومثيرا للحزن ـ حين صاح احدهم بصوت يشبه أسمك ؟ خفق قلبك ، توقفت ، كدت أن تصيح عاليا : اخيرا! هممت ان ترفع يدك لترد التحية ، لكن الرجل تخطاك الى شخص اخر ، فجررت خطاك محاولا ان لاتلتقي عيناك بنظرات الاخرين متناسيا ان الناس في هذه البلاد كل يعيش لنفسه ، اسرعت لمحطة القطار ، ليأخذك قطار الضواحي الى مسكنك ، حيث وحدتك المقدسة التي تشعر احيانا انها تمنحك امانا أكثر!

لم يكن هناك الكثير من الركاب . تجاوزت العربة الاولى ، ضجيج جمع من اصحاب الرؤوس الحليقة بقمصانهم الملونة وجاكيتاتهم الجلدية بسلاسلها العجيبة ، الغريبة والحلق في اذانهم وشفاههم وانوفهم ، دفعك لمغادرتها متذكرا ماروي عن احد المعارف الذي نجا بأعجوبة من محاولة دفعه تحت عجلات قطار ، فصار كلما رآهم قرأ آية الكرسي ، وحتى لا تضع نفسك في موقف حرج طالما انك لا تتذكر سطرا من آية الكرسي ، عبرت الى عربة خالية الا من عجوز كانت تتحدث في تلفونها اليدوي . جلست

أقرب الى النافذة وانت تدرك ان المكان الى جانبك ، في الغالب ـ وحتى تصل محطتك ـ سيظل فارغا اذا لم يحتله سكير يفتح لك ملفا تحقيقيا ينبش فيه ماضي اجداد اجدادك ، ليعرف لماذا تركت الشمس والخضرة وثروة النفط وجنت تزاحمه على برد القطب وفرص العمل القليلة ومعونة الشؤون الاجتماعية وشمسه التي لا تشرق الا نادرا!

كانت العجوز منتشية تثرثر في هاتفها اليدوي ، تطلق ضحكات جذلة ، وتخفض صوتها عند كلمات معينة وتسدد اليك نظراتها غير مدركة انك مازلت تتعثر في المسير مع لغتها الوعرة ، ولا تعرف سوى شيء من لغة المكاتب الرسمية ، وما يكفي لقراءة عناوين الصحف ، وان لامعنى لنظراتها المشوبة بالاحتجاج لوجودك على مقربة منها فأنت والمقعد الذي تحتل سواء في فهم رطانتها السريعة!

في المحطة التالية ، صعد المزيد من الركاب ، طلبة ، عشاق ، موظفون ، جنود ، عجائز ، زوج وزوجة وطفلهما الرضيع . حاولت ان تغفو قليلا ، لكن ضحكات وحوارات مشاكسة ليست بعيدة عنك كانت تصلك ، ورحت تبتسم لنفسك ، ما اسعد الناس تعود لبيوتها ، فرحة بعد يوم من العمل او الاجازة أو التسكع ، مطمئنة ان دفء العائلة بانتظارهم ، يمرحون ، يشاكسون ، يتخاصمون ، وتساءلت : ماذا ينتظرني في شقتي الباردة غير صمت الجدران وشاشة التلفزيون المملة وبضعة اشرطة اغاني بليت من كثرة اعادتها وصحف قديمة لاتحمل عن الوطن سوى اخبار الجوع والموت والاستبداد ، وانتظار رنين الهاتف لينقل اخبارا لاتجلب سوى المغص والامساك الشديد ؟

مددت ساقيك تحت المقعد المقابل ، اسندت جبينك الى زجاج نافذة العربة البارد ، لتطرد الشعور بالحمى الذي يلازمك منذ ايام ، مستذكرا

نصيحة عجوز روسية طيبةعرفتها في موسكو يوما ما ، وفجأة غمر المكان عطر مسكر أستفز في الروح مساحات رطبة ، حاولت ان تتحرك ، تغير مكان جلستك ، لكن يد حانية مرت على جبينك ، مست اطراف شعرك :

ـ لا تتحرك!

ـ من انت ؟

ـ أهكذا نسيتني بسرعة ؟

ـ احيانا يصيب الذاكرة عطب ما!

ـ لا يصح هذا معك ، لايستقيم مع لعبة الذاكرة والمستقبل ؟

تطلب الامر منك ، ثواني قليلة ، لتدرك انك في حضرة من طال غيابه عنك حد اللوعة . كان الوجه مثلما كنت تراه كل مرة ، هالة من نور ، تمس شغاف القلب بوهج من المحبة . وجه طال انتظارك له ، يأتيك مثل طائر الدهشة ، سماؤه فضاء الروح ، اغصانه نبض القلب ، ومدارات الانتماء استداراته . جناحاه قوس قزح ، ريشه الهواجس وعيناه الق الرؤى . يأتيك متبخترا مثل فاختة الاحزان ، مرفرفا بجناحيه حول باحة الاعوام ، مغردا يستفز هديل الشجن ، فتنثال الدهشة كرذاذ مطر اول . بمنقاره الذهبي يلتقط حبات الذاكرة ، حبة ، حبة ، حب... فيتلون ريشه بالاكتشافات والانتماء والالفة ، وتزهر حنايا الروح مثقلة بالرازقي والنرجس والجوري!

تذكر تماما يوم اول زيارة ، كنت ماتزال غضا ، لك عمر اول محصول للنخلة التي شتلها ابوك يوم ولادتك ، كنت تغفو تحت ظلالها ، حين جلس الى جانبك من مرر اصابعه على جبينك ، ومس اطراف شعرك ، حين افقت كانت امك الى جانبك ، تسأل :

ـ من كان بقربك ؟

ـ لا أحد!

ـ المرأة التي كانت عندك قبل قليل ، تمسد لك شعرك و... ؟

ـ لم أر أحداً غيرك!

ـ أتخفي على أمك اسرارا ؟ أن أريجها الفاغم يملأ المكان ، ثم... ما هذا الريش الذي يتطاير حولك ، مثل تويجات الرازقي والنرجس والجوري ؟

وكنت تحدق ذاهلا الى أمك التي كانت جادة ـ تماما! ـ في سؤالها! وحين صرت شابا ، يخفق قلبك للكواعب ، تكررت الزيارات ـ الاسئلة الجادة أيضا! ـ خاصة حين اغرمت بتلك الفراشة العراقية ، الاميرة القادمة من حكاية لم تروها شهرزاد ولم تحملها الكتب ـ مع هبوب الريح السوداء التي غطت سماء الوطن بغيوم تمطر دما ، وتفرد الغول بحياة الناس فاذا كل شيء موات ، كان اضطرارك للرحيل طعنة نجلاء هشمت جناحيها ، وذهبت ببريق ايامها ، اذ تركتها ودون رجعة للمجهول والانتظار واللوعة واليأس! ـ في تلك الايام ، وقبل هبوب الريح السوداء ، كانت اميرتك تفاجئك دوما وانت محاط بهالة من العطر والريش الملون ، وكانت نهران محبتها تصخب وتفور بالغيرة والاسئلة والدموع ، ولم يكن لديك من جواب شاف سوى الرد بأنك مجنون بها و... ، وبعد هروبك من بين مخالب الغول ، وصرت بعيدا عن سمائك الاولى ، تطلب منك كثيرا من الوقت كي تتكرر الزيارات المليئة بالسحر والدهشة ، تتذكر ـ جيدا ـ ان ذلك حصل في عدن ، يوم كتبت لطائرك الاخضر* :

كل البنات هناء
وكل الموانئ عدن!

---

* ثمة اغنية حب يمنية شهيرة يقول مطلعها : (ألا ياطير الاخضر وين مسرا ك الليلة ؟ الخ...) .

أيقظتك هناء يومها من النوم ، لتسألك عن الريش الملون الذي يملأ غرفة نومك والاريج الفاغم الذي يلف المكان ، فلم تجد يومها اجابة مقنعة و... ، وحصل ذلك في موسكو يوم... ، وها هي زيارة بعد انقطاع :

ـ من جاء بك الى هنا ، الى طرف الدنيا ؟

ـ أتعتقدين أن سؤالا كهذا املك له جواباً واحداً ؟ ثم هل لي ان أسال لم هذه الزيارة المفاجئة ؟

ـ الا يجوز لي أن اقوم بذلك بين الحين والآخر ؟

ـ لكني لست مستعدا بما فيه الكفاية!

ـ ما الذي يعوزك هذه المرة ؟

ـ أشياء كثيرة!

ـ لم أفهم ؟

ـ انك افضل من يفهمني ، اكون مستعدا لاستقبالك فيما لو كنت على حافة الـ ...

ـ الجنون... بماذا ؟

ـ الجنون بالحياة!

ـ والآن ؟

ـ ثمة ما يزرع الجدب في روحي ، انا أعيش ولا أعيش ، أحيا واموت كل يوم!

ـ والمساحات الخضراء ؟

ـ موجودة ، ولكن كيف لها أن تكون خضراء... خضراء وبرد الروح ثقيل في نهارات ظلامها متراكب كالكوابيس ؟

ـ والسماوات ؟

ـ خفيضة ، قاسية!

ـ أنسيت جناحي الطائر ؟
ـ اذكر تماما ما كنت اردده لاصحابي : قلب بلا أمل كطير بلا جناح!
ـ وماذا عن الاحلام ؟
ـ ما تزال خضراء تصارع من اجل الـ...
ـ طيب ، مادامت احلامك طرية ، سأكرر زيارتي قريبا .
ـ متى ؟
ـ حين تلتقي عصفور الاماني!
ـ وما هي علامته ؟
ـ أريج فاغم وريش يتطاير مثل تويجات الورد!

حين فتحت عينيك ، كان قبالتك تماما يجلس رجل بدين يحدق بك بفضول ، مال الى سيدة أنيقة تجلس الى جانبه ، وهمس لها بشيء ما . وحين غادرت القطار في محطتك ، لاحقك الرجل بنظراته ، فتأكد لك أنه يظنك ممسوسا ، تساءلت : هل أستمع الى الحوار ؟ لم تخف من كونه قد يعرف العلامة فيسرق منك عصفور الاماني ، لكونك واثقا انه وان سمعك فأنه لن ينجح في ذلك ، فرحت ـ مطمئن البال ـ تبحث عن العلامة التي بموجبها ستجد عصفور الاماني!

درت كثيرا ، جلت البلاد طولها وعرضها ، شمالها وجنوبها ، رطنت بعدة لغات ، غضبت وفرحت ، ضحكت وبكيت ، ثرثرت وصمّت ، تواضعت وتكبرت ، و... ، فعلت كل شيء ممكن علك تعثر على العلامة التي تدلك على عصفور الاماني . خلال جولاتك قادتك عطور زائفه لمواقف تخجل من أستعادتها مع نفسك ، وأخرى تثير شفقتك على نفسك ، وغيرها شفقتك على الاخرين . أوهمت نفسك حينا بعلامات ما ، حاولت أن تتحايل على نفسك ، ان تجد عذرا ما علك تفيق يوما من أغفاءة لتجد الريش بالوانه الساحرة

يتطاير حولك وعطر فاغم يلف المكان ، لكنك في كل ما فعلت ، حتى في تلك الساعات التي بدت وكأنها على حافة عرائش الامل ، حيث كنت تظن انك على مقربة من لحظة العثور على عصفور الاماني ، لم تجد غير الجفاف الذي ظل يلف اغصان روحك ، وتراب الحزن تثيره خطواتك!

وها انت ـ بعد شهور طويلة ـ تمسك بورقة ـ بيضاء ـ صقيلة ، عريضة . تختار ـ بدقة ـ قلماً بحبر أسود . تجلس الى طاولتك ، مدركا ما تفعل . ترسم على صفحة الورقة عدة كلمات ـ تختارها بتأن ـ ثم تضع علامات أمام بعضها . تشطب أخرى . اخيرا تنتبه الى انك ـ عامدا ـ استبقيت كلمات محددة . بصمت رحت تشكل منها جملا قصيرة ، كانت توخز شغاف قلبك . في الوقت ذاته ملأت خياشيمك رائحة حريفة ، ثمة شيء يحترق! ملأ الغرفة بدخان لا لون له ، في داخلك اعولت سماوات ، اصطفقت اجنحة . على الورق الصقيل أصابعك تتحرك ، يسارا ويمينا وشرر الكلمات يطهر وحدتك المقدسة!

هلسنكي
خريف ١٩٩٥

**المؤلف:**

- مواليد ١٩٥٦/٣/٢٠ .
- ظهرت كتاباته الصحفية والقصصية في العديد من الدوريات والنشريات العراقية والعربية والفنلندية!
- لاسباب سياسية ، غادر العراق صيف ١٩٧٩ .
- التحق بقوات الانصار في كردستان العراق ربيع ١٩٨٢ ، حتى حملة الابادة المسماة بـ«الانفال» ، حيث بدأت رحلته مع التشرد والهجرة!
- في رحلة البحث عن سقف آمن اعتقل في استونيا وقضى عام ١٩٩٤ في السجن الاستوني!
- مقيم منذ مطلع ١٩٩٥ في فنلندا لاسباب... إنسانية!

## صدر للمؤلف:

١ـ عراقيون ـ مجموعة قصصية (عن تجربة الانصار) عن رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين ـ الانصار/ ١٩٨٥

٢ـ في انتظار يوم أخر ـ كراس تسجيلي (عن معاناة اللاجئين العراقيين في روسيا) السويد/ ١٩٩٣

## كتب مخطوطة للمؤلف:

١ـ تلك القرى ـ مجموعة قصصية (عن تجربة الانصار)

٢ـ الحالات ـ مجموعة قصصية (عن الحرب)

٣ـ الصحن ـ مجموعة قصصية

٤ ـ ايام للاسئلة... أيام للانتظار ـ رواية (عن الحرب)

٥ـ تضاريس الايام في دفاتر نصير (نصوص ـ مذكرات)

٦ـ لدي أسئلة كثيرة ـ كتاب تسجيلي وثائقي (قصص وشهادات عن احوال الاطفال الاكراد ايام حرب الابادة التي شنها نظام صدام حسين على الشعب الكردي وسميت بـ: الانفال!)

٧ـ هواجس ومدارات على حافة الشعر (نصوص)

## كتب قيد الانجاز:

١ ـ مواسم الانتظار ـ رواية

٢ ـ أسماك زينة ـ رواية

٣ ـ مدارات الحجر ـ كتاب تسجيلي عن سيرة الشهيد الفنان فؤاد يلدا (ابو أيار)

٤ـ سهرتنا هذه الليلة ـ مسرحية

٥ ـ الرحلة الثامنة (باللغة الفنلندية) سيرة تسجيلية

## الفهرس

لوحة الغلاف للفنان جبر علوان

# طائر الدهشة

في كردستان ، آب ١٩٨٥م ، وبإمكانات الانصار الطباعية المتواضعة ، صدرت مجموعتي القصصية الاولى (عراقيون) ، عن (رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين - الانصار) ومرت سنين طويلة منذ ذلك اليوم ، انجزت فيها العديد من المخطوطات الادبية والقصصية ، لكن ظروف عدم الاستقرار التي مررت بها ، خلال رحلتي مع المنفى في البحث عن سقف امن ، اضافة للمصاعب الفنية من تمويل وغيرها ، كانت عائقا جديا امامي لطبع كتاب جديد!

ولو تيسر لي امكان طبع كل مخطوطاتي ، فإن هذا الكتاب سيكون ترتيبه في اخر القائمة ، ولهذا استوجب التوضيح ليكون القارئ على بينة!

هذا الكتاب الذي تيسر طبعه أخيرا ، يضم مجموعة من القصص ، تم اختيارها من اخر ما كتبت من قصص لاعتقادي ان هناك ما يجمعها ، واحساسي بأن ثمة خيوطا مشتركة ما تمر بين نسيجها ، حاولت الى حد ما ترتيبها بشكل ربما - اقول ربما - يساعد هذا التسلسل على منح القارئ فضاء أرحب في التحليق مع عوالمها وهموم ابطالها!

ISBN => 2-84305-160-6
EAN => 9782843051609